العدد السابع ... شوال ١٤٣٧هـ - يوليو ٢٠١٦م

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة

الخَرْجَاتُ العَرَبِيَّةُ فِي المُوَشَّحَاتِ العِبْرِيَّةِ الأَنْدَلُسِيَّةِ بَيْنَ التَّبَعِيَّةِ والاسْتِقْلالِيَّةِ

د.عوض بن عبدالله القرني

أستاذ الأدب المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

ردمد النشر الإلكتروني: ١٦٥٨ - ٧٤٧٢

رابط المجلة على شبكة الإنترنت http://sj.bu.edu.sa

الخَرْجَاتُ العَرَبِيَّةُ فِي المُوَشَّحَاتِ العِبْرِيَّةِ الأَنْدَلُسِيَّةِ بَيْنَ التَّبَعِيَّةِ والاسْتِقْلالِيَّةِ

د. عوض بن عبدالله القرني

أستاذ الأدب المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

الملخص:

تُعد الخرجات العربية مظهرًا من أبرز مظاهر الحضور العربي في الشعر العبري الأندلسي عامة، وفي الموشحات العبرية الأندلسية خاصة، ويكتسب هذا الحضور أهميته من خلال إثبات مقدرته في التأثير على الموشح العبري، وترسيخ مكانته في بنيته، سواء أكان عن طريق المعجم اللغوي العربي، أم بواسطة الواقع الموسيقيّ الذي فرضه على الموشح العبري؛ لأن الخرجة قفل كسائر أقفاله، يسَعُها جميعًا ما يسع الخرجةَ في عدد أغصانها، وأوزانها، وقوافيها، وبالتالي فإن سائر الأقفال العبرية في الموشح العبري تسير مسارَ الخرجة العربية فيه، والتي فرضت نفسها، ونَفَثَتْ نفَسَها في هيئة الموشح النهائية، حتى وإن كانت محدودة الحجم مقارنة بنظائرها المتمثلة في مجموع الأقفال المكوّنة للموشح ذاته، وجاءت الخرجات العربية في الموشحات العبرية بصور مختلفة، فهي متعددة الأغصان، متنوعة القوافي والأوزان، وكلما ازدادت سماتها وصفاتها وأغصانها زادت تبعًا لذلك في سائر الأقفال، كما أن هذه الخرجات وردت بلغة فصيحة معربة، وبلغة عامية، وبلغة أعجمية أو بلغة مزيج بينها وبين العربية، كما أن لهذه الخرجات العربية معجمَها اللغوي الفريد الذي تتّسم به، وتعود أهمية هذه الدراسة إلى تناولها هذا الموضوع الذي قل الحديث عنه في الدراسات العربية والأجنبية إلا ما جاء عَرَضًا، أو ما ورد في أثناء الحديث عن بنية الموشح وموسيقاه، خاصة في الجانب العربي؛ ولذلك نشأتْ هذه الدراسة على الرغم من صعوبة البحث في الدراسات العبرية من ناحية، ولندرة المراجع الإسبانية والأجنبية الأخرى التي تركّز على هذا الموضوع من ناحية ثانية، ومن أهداف الدراسة توضيح الصلة بين الخرجات العربية وبين الموشحات العبرية الواردة فيها، إضافة إلى إتاحة هذا العدد الكبير من الخرجات العربية عند اليهود للقراء والدارسين، مع توضيح تبعية الموشح العبري للعربي في الأندلس من خلال الخرجات العربية، التي تشير إلى هذه التبعية من ناحية، وبعضها يشير إلى محاولة الاستقلالية من ناحية أخرى كنتائج خلصت إليها الدراسة، وقد تناولت الدراسة هذا الموضوع في ثلاثة مباحث: الأول في خرجة الموشحين العربي والعبري، وأنواعها، وشروطها، والثاني في الحضور العربي من خلال الخرجات العربية في الموشحات العبرية الأندلسية، بينما تناول المبحث الثالث قائمة بعدد كبير من الخرجات العربية التي وردت في موشحات عبرية، قبل أن يُختم البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها.

الكلمات المفتاحية: الموشحات العبرية، الخرجات العربية، الموشحات الأندلسية

Arabic Jarchas (Close-Ups) in the Andalusi Hebrew Lyric Between Dependence and Independence

Dr. Awad Abdullah Alqarni
Associate Professor of Literature Arabic Language Department
College of Arts & Humanities at Albaha University

Abstract:

Arabic Jarchas (Close-Ups) are considered one of the most outstanding features of the Arabic presence in the Andalusi Hebrew poetry in general and in the Andalusi Hebrew Lyric in particular. The power of this presence attained its importance through its influence in the Hebrew lyric and in establishing itself in its structure whether by way of the Arabic Dictionary or by the musical reality it imposed upon the Hebrew lyric. This is because the Jarcha is a close-up similar to all the other endings of the lyric. It contains all the Jarcha features such as the number of its rhythms and rhymes. Therefore, all the other Hebrew close-ups in the Hebrew lyric followed the Arabic lyric which imposed itself in the last form of this lyric even if it is limited in size compared to the other constituent close-ups of the same lyric.

Arabic Jarchas took various forms within the Hebrew lyric. They are classified into several branches, rhythms, and rhymes. The more features, branches, and divisions they took, the more close-ups they adopted. These Jarchas were written in Arabicized Standard Arabic, in Arabic vernacular, in non-Arabic language, or in a mixture of both Arabic and non-Arabic language. These Arabic Jarchas have and are characterized by their unique language dictionary.

The importance of this study stems from the fact that this topic has not been dealt with in Arabic and foreign studies. It has been found that the Arabic Jarcha in the Hebrew lyric did not receive enough of the in-depth studies on both the Arabic and the Hebrew levels except in accidental cases or through discussions on the structure or the music of the Arabic lyric. This study came up despite the difficulty of searching in the Hebrew studies on the one hand and the rarity of foreign and Spanish references on this topic on the other hand.

Among the objectives of this study is the clarification of the connection between Arabic Jarchas and the Hebrew lyrics intertextualized in them in addition to making that large number of Arabic Jarchas in the Hebrew lyrics available to readers and scholars. This is done also through clarifying the dependence of the Hebrew lyric to the Arabic lyric in Andalus through Arabic Jarchas. Arabic Jarchas refer to this dependence on one hand and some of them refer to an attempt for independence on the other hand. These are findings reached at in this study.

The topic of this study is divided into three parts: First, The Jarchas of the two lyrics; the Arabic lyric and the Hebrew one in terms of their types and conditions or rules. Second, The Arabic presence in the Andalusi Hebrew lyric by way of Arabic Jarchas. Third, a list of a large number of Arabic Jarchas that existed in the Hebrew lyrics. The study concluded with the most important findings and recommendations.

Key words: Hebrew lyric, Arabic Jarchas, Andalusi lyrics

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد

فإن للعرب والمسلمين في الأندلس آثارًا ما يزال بعضها شامخًا باذخًا إلى أن يشاء الله، تلك الآثار التي تنطق بلسان مبين عن العظمة التي ادّرع بها أهل الأندلس، العظمة التي لفتت أنظار المحيطين بهم، ومنهم اليهود الذين كانوا يعيشون في الأندلس حياة عادلة، بل حياة أكثر من توقعاتهم في فترات زاهية باهية من حكم العرب والمسلمين للأندلس.

تأثر يهود الأندلس تأثرًا كبيرًا بالعرب[1]، وبلغ هذا التأثر غايته ونهايته عندما كتبوا أشعارهم بالعربية، أو اختتموا موشحاتهم بخرجات عربية، وهي السواد الأعظم من الخرجات الأعجمية الدخيلة على عبريتهم، أو بخرجات رومانثية وهي أقلّ من العربية، بل إن جُلّها يتضمن كلماتٍ عربيةً إلى جانب الكلمات الرومانثية، وبالتالي فإن جميع الخرجات العربية الواردة في الموشحات العبرية تقارب المائة خرجة عربية صرفة ما بين فصيحة وعامية، والغالب في الخرجات الرومانثية – التي تصل إلى ست وعشرين خرجة – أن كثيرًا منها قد تضمنت كلمات عربية.

لقد جاءت هذه الخرجات لتؤكد الحضور العربي القوي في الأندلس عامة، وفي الشعر العبري خاصة، وجاءت لتبرهن على أن اللغة العربية قد فرضت ذاتها من خلال هذه النماذج من الخرجات العربية، لدرجة أننا لو أردنا أن نقارن بين الحضور الرومانثي والحضور العربي في الموشحات الأندلسية عامة لوجدنا أن الحضور الرومانثي الأعجمي لم يتجاوز خمسين خرجة في موشحات عربية، وثلاثين في موشحات عبرية، بينما بلغ الحضور العربي في الموشحات العبرية حوالي مائة خرجة، إضافة إلى العدد الكبير من الخرجات العربية العامية أو الفصيحة المعربة في الباقي من الموشحات العربية التي لم ترد خرجاتها أعجمية، ويمكن الرجوع إليها في عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس لعلي بن بشري الغرناطي، وديوان الموشحات الأندلسية لسيد غازي، والمتناثر منها في مصادر التراث العربي الأندلسي.

بين أيدينا دراسة إنجليزية في حوالي ثلاث وعشرين صفحة، منشورة في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بعنوان: ثلاث وتسعون خرجة عربية في موشحات عبرية، لكل من: جيمس مونروي، وديفيد سوياتلو Ninety-Three Arabic Harǧas in Hebrew Muwaššaḥs: Their Hispano-Romance Prosody and Thematic Features, James Monroe, David Swiatlo, Journal Of the American Oriental Society 97.2, 1977, PP. 141 - 163 وجُلّ هذه الدراسة يورد الخرجة العربية الواقعة في الموشح العبري برسمٍ لاتيني، ولفظ عربي، ثم يسوق ترجمتها إلى الإنجليزية والإسبانية، يأتي بعد ذلك بجمل وأمثال وحكم من التراث الإسباني موازية للمعاني الواردة في تلك الخرجات العربية، مع اهتمام هذه الدراسة بالجانب الموسيقي الخارجي.

من هنا جاءت هذه الدراسة « الخَرْجَاتُ العَرَبِيَّةُ فِي المُوَشَّحات العِبْرِيّة الأَنْدَلُسِيّة بَيْنَ التَّبَعِيَّةِ

وَالاسْتِقْلالِيَّةِ» رغبة في إثراء الدراسات العربية فيما يخص الموشحات الأندلسية عامة، والخرجات العربية على سبيل الخصوص، وذلك نظرًا للحضور العربي البارز من خلال هذا القفل المهم في الموشح العبري، والكشف عن معجمه اللغوي العربي، ومكانته من الموشح الوارد فيه، وحالته بين العربية المعربة الفصيحة والعامية، مع الإشارة إلى ما انفرد به الموشح العبري تارة، وما اشترك فيه مع الموشح العربي تارة أخرى، إضافة إلى الحضور العربي البالغ الأهمية من خلال المعجم اللغوي في الخرجات الرومانثية للموشحات العبرية الأندلسية.

استوقفني هذا العدد الكبير من الخرجات العربية الصِّرفة التي جاءت خواتيمَ لموشحاتٍ عبرية أندلسية، فاطلعت عليها في بعض مراجعها وتراجمها، ورأيت التباين والتوافق بينها وبين الخرجات العربية في الموشحات العربية، وزاد من اهتمامي بهذه الروح التي دخلت جسد النظم العبري فأحيَتْه وحرّكته، وعضّد من رغبتي في دراستها قلةُ الدراسات العربية التي تهتم بالخرجات العربية في الموشح العبري، ولا تأتي إلا لمامًا عند الحديث عن الموشحات بشكل عام، كما أن الدراسات الغربية جاءت كذلك مهتمة بجوانب أخرى في الموشح، وإن أوردت الحديث عن الخرجة العربية في الموشح العبري فحديث عابر، يأتي في إطار تناول الموشح بشكل عام.

لذلك فإن هذه الدراسة تحاول الوصول إلى تعليل واضح لهذا الحضور العربي القوي في الثقافات السائدة في الأندلس آنذاك، خاصة الثقافة العبرية، على الرغم من صعوبة البحث والتقصي بهذه اللغة، والتي تعدّ من أهم الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة، وقد خفف من ذلك توافر عدد من محركات الترجمة الإلكترونية، التي قد توجه البحث إلى المعنى الإجمالي دون الخوض في التفاصيل الدقيقة؛ لقصورها في هذا الجانب، يضاف إلى هذه الآليةِ المراجعُ والدراسات الغربية، وخاصة ما كان باللغة الإسبانية، لا سيما وأنها ذات ثقل فيما يتعلق بالدراسات الأندلسية على اختلاف لغاتها وثقافاتها.

تضمّن هذا البحثُ الحديثَ عن الخرجات العربية في الموشحات العبرية الأندلسية مع استقصائها قدر الإمكان، ومحاولة ترتيب الحديث عنها من خلال ثلاثة مباحث رئيسة، يتناول المبحث الأولُ منها الخرجةَ في الموشحين العربي والعبري، وأسبقيتها في البناء، وأولويتها في الانتهاء، وذكر أنواعها، وتمهيد الوشّاح لها، ومنزلة الخرجة العربية من الموشح العبري، كما يتناول المبحث الثاني الحضورَ العربيَّ في الموشح العبري سواء أكان ذلك الحضور من خلال الخرجات العربية البحتة أم من خلال الخرجات الأعجمية الرومانثية Las Jarchas Romances مع التأكيد على أهميته ومكانته في بناء الموشح عامة والخرجة خاصة، دون إغفال للخرجات المتكررة في أكثر من موشح عربي وعبري، وانتهاء بمعجم لغوي لما ورد في أثناء الخرجة من كلمات عربية، بعد ذلك يسرد البحث قائمة بعدد كبير من الخرجات العربية في موشحات عبرية أندلسية لتكون المبحث الثالث الذي يأتي بعده خاتمةٌ تتلخّص فيها أبرز النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث.

المبحث الأول

الخرجة في الموشح العربي والعبري: أوَّلُ البناء وآخر البنية

كثر الحديث قديمًا وحديثًا، عربيًّا وأجنبيًّا عن الموشحات، وعن نشأتها، وأصولها الأولى، وعن أقسامها، وأجزائها، ولا أجد أن من الجدوى إطالة هذه الدراسة بما نال هذا الفن من تقعيد، خصوصًا وأنني قد أشرت إليه في دراسة أخرى عن تأثير الموشح العربي في الموشح العبري، ولكني أوجه هذه الدراسة إلى الخرجة التي تعد من أهم أقفال الموشح، بل أهم أجزائه قاطبة، وعليها المعوّل في بنائه، ووضع قوافيه، وهي المركز الذي استهل الوشاح بناءه، وعليه سارت سائر الأقفال، كما أنه آخر ما يعلق في الأذهان، إضافة إلى ما قد يتضمنه من لغات أو لهجات، وما يمهد له من كلمات وعبارات، غالبًا ما تكون على ألسنة الفتيات، وقد احتدم الحوار بين الدارسين، وخاصة الغربيين في أصولها، حتى إن أحدهم – إمعانًا منه في ربط الأدب الأوربي عامة والإسباني على وجه الخصوص به – أطلق عليها: « الربيع الباكر للغنائية الأوروبية»[1] في تأليف مستقل بذلك.

لقد أقر المهتمون بهذا الفن – عربُهم ومستعربهم Los Arabistas ومستعبرهم Los Hebraistas – بأن المراد بالخرجة « القفل الأخير في الموشحة »[2] كما عرفها ابن سناء الملك، وذكر أن « الشرط فيها أن تكون حجّاجية من قبل السّخف، قزمانيّة من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة »[3]، فـ (حجاجية): «تشير إلى شاعر بغدادي هو ابن الحجاج، وفي شعره مجون وإحماض يربو على صنيع أي شاعر عربي آخر، والسخف الذي يشير إليه ابن سناء الملك يعني الميل للهزل، ولا يدل على الثقل، كما قد يتوهم فريق من القراء، وفي لفظة (قزمانية) إشارة إلى ابن قزمان الزجال الأندلسي المشهور فكأن الشرط في الخرجة – وفقًا لما قرر ابن سناء الملك – أن تكون معبرة عن المجون، وأن تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقين واللصوص (الداصة) والرعاع »[4].

إن منزلة الخرجة في الموشح كالبدرِ وهالتِهِ، لأنها « أبزار الموشح وملحه وسكره، ومسكه وعنبره، وهي العاقبة، وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة، بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي

(1) De la Casida a la Moaxaja la renovación poética en el Al-andalus lic. Valeria Rodríguez Martínez, Revista Penélope, Jaén, 2014. نسخة إلكترونية:
http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق جودة الركابي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م: ٣٠

(٣) نفسه: ٣٠

(٤) الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٣١، شعبان/رمضان ١٤٠٠هـ، يوليه ١٩٨٠م: ٣٢

أن يسبق الخاطر إليها ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية»[١].

وعرّفها المستعربون الإسبان بأنها تعني الخروج، وهي آخر المقاطع المرددة في الموشح والزجل، وهي المكتوبة بلغة عربية « أندلسية » دارجة، أو بلغة « رومانثية »، وميزة الخرجة سواء أكانت عربية أم رومانثية أنها بالتأكيد جاءت لتعرض موقف المنافرة والمواجهة لكلاسيكيةِ النصِّ الموشحي، وبالتالي تتخذ موقفًا وسطًا بين الأدب العربي في حالة الجد أو التبعية، وفي حالة الهزل أو الاستقلالية[٢]، ومثل ذلك يقال عن الخرجات العربية في الموشح العبري التي جاءت لتوائم بين النص الموشحي قبل الخرجة، وما فيه من مضامين وشروط، وبينه وبين آخر أقفاله التي خرجت متحررة من قيوده، خاصة عندما يعيش أولى مراحل حياته، وأحدث لبناته.

وإذا كان من أنواع الموشحِ الموشحُ الأقرع، وهو الذي يستهل (بدور) وليس (بقفل) ، فيكون مطلعه دورًا لا قفلاً كالموشح التام، فإنه لا يمكن- بتاتًا - أن يأتي موشحٌ بغير القفل الأخير وهو الخرجة؛ لأنها من الموشحات « ركن أساسي يوليه الوشّاحون عناية خاصة، ولها شروط تنسجم مع جو الطرب والغناء المواتي للموشحات »[٣] التي لو قُدِّر لها أن تكون بلا قفل أول، ما قُدِّرَ لها أن تأتي - مطلقًا - بلا قفل أخير.

وتستعمل في اللغة الإسبانية بلفظها العربي دون استخدام معناها في اللغة الإسبانية، وهو لفظ (Salida ساليدا بمعنى خروج، أو Versos Finales بيرسوس فيناليس، بمعنى أبيات نهائية أو آخِرة)، وإن كان يرد معنى هذا اللفظ أحيانًا إلا أنه يأتي في أول الحديث عن الخرجة لإفهام المتلقي معناها ثم سرعان ما يتوارى، ولا يبقى بعد ذلك إلا لفظها العربي أو المقارب للعربي، ولكن بعض المستعربين وصف الخرجة بوصف لعله يريد من وراء إثبات أنها ذات أصول لاتينية الحكمَ على غنائية الشعر الإسباني القديم، وذلك مثل قول داماسو ألونسو Dámaso Alonso: إنها « الربيع الباكر للقصيدة الغنائية الأوروبية »[٤]، لدرجة أن بعض الدارسين ذكر أن الخرجات الرومانثية هي أصول الغنائية في أوروبا، ثم ذكر أنها كذلك قد تكون خواتيم لأشعار تعرف باسم الموشحات، وهي مكتوبة بخطوط عربية وعبرية تتضمن الخرجات (الأقفال الأخيرة من الموشحات) أو مقاطع التكرار التي جاءت بلغة رومانثية أندلسية ولكنها - أيضًا - بخط عربي أو عبري[٥]، ولكي تتضح معالم الخرجة العربية وأنواعها،

(١) دار الطراز: ٣٢

(2) El Enigma de las JARCHAS, Pedro Martin BAÑOS, Universidad Bilbao, 2005, pp. 13-14.

(٣) التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الأندلسية، محمود فاخوري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٨٥، شوال ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م: ٨٥.

(4) Cancioncillas 'de amigo' mozárabes (primavera temprana de la lírica europea), Dámaso Alonso, Revista de Filología Española, 33 (1949), pp. 297-349, http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf.

(5) http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf

ومدى تأثيرها في الموشحات العبرية، فإنني أورد فيما يأتي بعضًا من المظاهر التي ترد عليها الخرجة.

بصرف النظر عن أصل موشحها الذي وردت خاتمة له، فإن للخرجة أنواعًا بحسب لغتها، وبمقدار فصاحة ألفاظها أو عاميتها أو عُجمتها، وكان للتعددية الثقافية واللغوية دورها الكبير في ظهور هذه الظاهرة التي لازمت الموشح العربي والعبري، بل أصبحت مطلبًا جوهريًّا في بناء الموشح الأندلسي.

أولاً: أنواع الخرجة في الموشحين العربي والعبري

تتفق الموشحات العربية والعبرية في تنوّع خرجاتها، وتسير العبرية على سَنن العربية في المعجم اللغوي للخرجة، وهي بذلك تؤطّر لتبعيتها لها، وسيرها على منوالها، وبالنظر لما اشتملته المصادر والمراجع العربية، ومن بعدها الدراساتُ الحديثة الإسبانية والعبرية من الجوانب النظرية التي تختص بالخرجات، وبالاطلاع على ما بين أيدينا من نماذج تطبيقية على هذه القواعد النظرية، التي هي في الأصل موضوعة استنادًا إلى العدد الكبير من الموشحات الأندلسية، يتضح من خلال ذلك أن الخرجات في كلٍّ من الموشحين تتنوّع - بحسب معجمها اللغوي - إلى عدة أنواع:

١. **الخرجة الفصيحة:** بما أن الموشح العربي هو الأساس في نشأة الموشح العبري اهتمت المصادر العربية الأولى والمهتمون بهذا الفنّ المستحدث في حينه بتحديد أنواع الخرجات، فقد نفى العارفون عن الموشح هذه الصفة إن كانت الخرجة معربة، وشرطهم ألا تكون كذلك مطلقًا، لأنها - بحسب آرائهم - ينبغي أن تختلف عما سبقها من الأقفال والأدوار والأبيات حتى يكون الموشح مكتمل البنيان، ثابت الأركان، وأما « إن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال، خرج الموشح من أن يكون موشحًا »[١] ثم عادوا وتنازلوا عن ذلك، واستثنوا هذا الشرط فيما لو كان الموشحُ موشحَ مدحٍ، وذُكر في خرجته اسمُ الممدوح، فبذلك يُستساغ أن تكون الخرجة معربة، وإن كان الموشح في مجال الغزل فلم يتنازلوا عن هذا الشرط إلا « أن تكون ألفاظها غزلةً جدًّا، هزّازة سحّارة خلاّبة، بينها وبين الصّبابة قرابةٌ؛ وهذا معجزٌ مُعْوِز »[٢]خاصة في أبوابٍ غير الغزل، إذا سلّمنا بإمكانيتها في كل خرجة غزلية. ومن الأمثلة على الخرجة المعربة الفصيحة في الموشح العربي، وهي كثيرة، قولُ ابن زهر الإشبيلي[٣]:

كَبِدٌ حَرَّى وَدَمْعٌ يَكِفُ
يَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلا يَعْتَرِفُ
أَيُّهَا المُعْرِضُ عَمَّا أَصِفُ
قَدْ نَمَا حُبُّكَ عِنْدِي وَزَكَا
لا تَقُلْ في الحُبِّ إِنِّي مُدَّعِ

(١) دار الطراز: ٣٠-٣١
(٢) نفسه: ٣١
(٣) نفسه: ٧٤

أما الخرجة العبرية الفصيحة فقد وردت كذلك في ختام موشحات عبرية أندلسية، ونظرًا لأنه ليس من مهمة هذه الدراسة إيراد نماذج منها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن استحضارها في هذا الموطن يتحتم ترجمتها إلى اللغة العربية بغية فهمها، وإذا ما تُرجمت إلى العربية اختلّ معجمها العبري الفصيح؛ لأنها ليست ترجمة للمعنى، ولا ترجمة للصورة، وإنما ترجمة للألفاظ، وهي التي عليها المعوّل هنا في المعجم اللغوي، وبالتالي فإن الترجمة تفسد الفكرة التي يريد البحث الوصول إليها، على أقل تقدير في هذا الموطن، ولكن الذي يلاحظ، ويتناسب مع مضامين الدراسة من جانب، ومع هذه الفقرة التي تتناول فصاحة الخرجة من جانب آخر هو وجودُ خرجات عربية فصيحة في موشحات عِبرية أندلسية، ومن ذلك - فيما بين أيدينا من الموشحات العبرية الأندلسية - قول موسى بن عزرا[١]:

لأيِّ شَيءٍ تصْلحُ؟ مَا الذِي أَكْسَبُ مِن تَقدِيمي صَلاتي؟

فَقَط أَسْتَثِيرُ حُنْجُرَتِي بِمَرَارَةِ صَرْخَتِي أَصْرخُ غَاضِبًا جِدًّا لِنَفْسِي الفَارِغَة:

مَنْ كَانَ مَظْلُومًا

وَخَصْمُهُ قَاضٍ

هَلْ يَنْتَصِفْ باللهِ

مَنْ حَالُهُ هَذِي؟

ومن النماذج الأخرى التي تؤكد وجود خرجات عربية فصيحة في الموشح العبري قوله - أيضًا -[٢]:

حَفِظَ اللهُ خِلاً بَانَا

وَرَعَاهُ أَيْنَمَا كَانَاو منها

قول الوشاح اليهودي الآخر[٣]:

جَنانٌ يَكُفُّ الكَدَرْ

وَكَفٌّ تَدُرُّ المطَرْ

فمن الواضح الجليّ أمام القاريء الحصيف أن هذه الخرجات العربية الواردة في خواتيم موشحات عبرية جاءت عربية النِّجار، لو قُدّر لها أن تُقرأ مستقلة عن الموشح العبري الواردة فيه لما وقع شكّ أو ريب في أنها في موشح عربي، نظرًا لفصاحتها الظاهرة، وهذه التبعية تؤكد على أن الموشح العبري استفاد من الخرجات العربية الفصيحة في بنائه اللغوي، سواء أكان منفردًا بها دون سائر الموشحات، أم كان مضمّنًا لها من موشح عربي آخر، فالتبعية في هذا الجانب متحتمة، إما لذات الخرجة الفصيحة الواردة في موشحات عربية سابقة، وإما لعموم هذه الظاهرة، التي جعلت من اللغة العربية مكوّنًا ثابتًا في خواتيم كثير من الموشحات العبرية الأندلسية.

٢. الخرجة (العامية) أو غير المعربة: وقد استعذبوها سواءً أكانت عامية في ألفاظها أم كانت

(1) Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra': traducci6n y comentario. Angel saenz-badillos Primer Congreso Internacional sobre poesfa estr6fica arabe y hebrea y sus paralelos romances, celebrado en Madrid en diciembre de 1989, universidad complutense. P. 50-51.

(2) Ninety-Three Arabic Harǧas in Hebrew Muwaššaḥs: Their Hispano-Romance Prosody and Thematic Features, James Monroe, David Swiatlo, Journal Of the American Oriental Society 97.2, 1977, p. 157

(3) Ibid, p. 146.

غير معربة في حركاتها، لأنهم يرون من الشرط أن « تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقين واللصوص (الداصة) والرعاع »[١]، وكلما كانت كذلك وقعت في القلب والسمع.

وهي كثيرة جدًّا، لأنها والأعجميةَ الأصلُ في بناء الخرجة، ومنها قول الأعمى التطيلي في الموشح العربي[٢]:

قَدْ رَأَيتُكْ عَيَانْ
ليسْ عَلَيْكْ سَاتَدْرِي
سَا يَطُوْلُ الزَّمَانْ
وَسَتَنْسَى ذِكْرِي

ومنها الخرجة العربية العامية في الموشح العبري مثل قول الوشاح اليهودي الأندلسي[٣]:

اشْرَبْ مُدَامْ وَاسْقِ مَنْ تَعْشَقُهْ
وَخَلِّ حُسَّادَكَ يَتْقَلّقُوْا

لم تكن الخرجات العامية إلا ظاهرة أخرى من ظواهر التبعية العبرية للخرجات العربية، وتكمن هذه الظاهرة في جانب التبعية اللغوية، من خلال معجمها العاميّ، ثم تبلغ التبعية مداها إذا كانت الخرجة العامية واردة في موشح عربي واحد، أو في أكثر من ذلك، وتجتمع التبعية والاستقلالية في هذه الخرجات إذا لم ترد في أي موشح عربي، وإنما كانت من نظم اليهود العبرانيين الأندلسيين أنفسهم بلغة عربية عامية؛ فتبعيتها ظاهرة في معجمها العامي، واستقلاليتها في تأليفها العبري دون سابقة لها، لا على سبيل التضمين الكليّ ولا الجزئيّ.

٣. الخرجة (الرومانثية): ويراد بها الخرجة التي ليست بعربية[٤]، لأنها أعذب وأقرب وأطرب «بشرط أن يكون لفظها في العجمي سفسافًا نفطيًّا، ورماديًّا زطيًّا»[٥] وقد أوردها ابن الخطيب في جيش التوشيح، وعلي بن بشرى الغرناطي في عدة الجليس، وهي كذلك في ديوان الموشحات الأندلسية لسيد غازي، وأما المستعربون الإسبان فقد أكثروا فيها الكلام، واحتدم حولها النقاش، ومنها على سبيل المثال خرجة رومانثية خالصة متكررة، وهي خالية من أية كلمة

(١) الموشحات الأندلسية، محمد زكريا عناني: ٣٢

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية، سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م: ١/٢٥٠

(3) Ninety-Three Arabic Harǧas in Hebrew Muwaššaḥs, p. 146.

(٤) استقصت بحوث إسبانية الخرجات الأعجمية في الموشحات، سواء أكانت عربية أم بربرية، وقد أوردت خمسًا وخمسين خرجة بتراجمها إلى الإسبانية، مع اختلاف بين المترجمين في الترجمة، لدرجة أن الاختلاف ملحوظ حتى في عمل المترجم ذاته مقارنة بتراجم له سابقة، ولعل من أهم المهتمين بهذا الجانب: سولا سوليه Josep M. Solà-Solé، وإيميليو غارثيا غوميث Emilio García Gómez، وقد تناولتها مواقع إلكترونية كثيرة، ومنها موقع المجلة الأدبية Revista Katharsis، ينظر:

http://www.revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_poe_01_a.html
http://www.revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_poe_03.html
http://revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_ poe_00.html
http://www.revistakatharsis.org/Anonimo_Jarchas.pdf

(٥) دار الطراز: ٣٢

عربية عند الوشّاح العربي ابن بقي[١]، وخالية من أية لفظة عبرية عند الوشّاح اليهودي يهودا هاليفي Yehuda Halevi [٢]:

بنيد لا بشقة إد بيين سين الّ

كومو كانيد ميو كوراثون بور الّ

ومعناها باللغة العربية:

أَقْبَلَ العِيْدُ وَمَا أَزَالُ مِن دُوْنِهِ

كَمْ يُعَانِي قَلْبِي مِنْ أَجْلِهِ!.

ومن الخرجات الرومانثية في الموشح العربي، وقد تكررت عند أكثر من وشاح عربي[٣]:

يا ماتري الرَّحِيْمَةْ

الرّايو دي مانيانا

بون أبوْ الحَجّاجْ

لا فاجي دي ماترانا

ومعناها بعد ترجمتها من اللغة الرومانثية المختلطة مع العربية إلى اللغة العربية:

يَا أُمِّيَ الرَّحِيْمَة

يَا بَسْمَةَ الصَّبَاحِ

يَأْتِي أَبُوْ الحَجَّاج

وَالوَجْهُ كَالإِشْرَاق

(١) عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، علي بن بشرى الأغرناطي، تصحيح المستشرق ألن جونز، كامبرج، بريطانيا، ١٩٩٢: ٢٥٥، وديوان الموشحات الأندلسية: ٤٧٨/١.

(2) Hispano - Arabic Strophic Poetry, Stern, pp. 135 - 136, http://www.jarchas.net/jarcha - 5.html

(٣) عدة الجليس: ٣٤٦و٤١١.

ثانيًا: الخرجة الأعجمية بين اللغة والأصل[٤]

قبل الحديث عن الاختلاف والتباين في هذا الجانب تجدر الإشارة إلى أن هناك من رأى أن الخرجات منفصلة تمامًا عن الموشحات[٥]، وإنما أضيفت إليها لاحقًا، وهذا الزعم يقودنا إلى الحديث عن التباين الكبير في فهم معنى (الخرجة الأعجمية)، التي اتكأ عدد من المستعربين الإسبان في كثير من دراساتهم عند تناول مفهوم (الخرجة الأعجمية) على أنها استعارة أو اقتباس من أغانٍ إسبانية قديمة[٦]، - وفي تصورهم - أن الوشاحين العرب ويقلدهم في ذلك الوشاحون العبريون إنما يستعملونها في نهاية الموشح على جهة التضمين، لا على أنها جزء من موشحه الذي بنوه، ومعنى هذا الزعم أن الخرجة عندهم ليست من أصل الموشح.

ولكن هناك من أدرك من خلال هذا المصطلح أن المقصود منه أن تتضمّن الخرجة كلمات أعجمية، وهذا هو الأصوب، لأن الوشاح عندما يصنع خرجة

(٤) الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة، فيدريكوكورينتي كوردوبا، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٨١، جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، نوفمبر ١٩٩٧م.

(٥) هناك دراسة للباحث حول الحديث عن الخرجات الرومانثية وعن أصلها ونشأتها، وهي دراسة ستنشر قريباً - إن شاء الله - في مجلة جامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية، وسيتم لاحقًا التوثيق والإحالة إلى العدد والصفحات.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، أنخيل غونثاليث بالينثيا. ترجمة د. حسين مؤنس، المكتبة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥م: ١٤٢

موشحِهِ كان « يأخذ اللفظ العامي والعجمي »[1] والمراد هنا بالعجمي ما لم يكن على لغة الموشح سواء أكان عربيًّا أم عبريًّا، هذا من جانب، ومن جانب آخر – وفيه رد قوي على من زعم تضمين الخرجات الأعجمية – أن كثيرًا من تلك الخرجات تتضمّن كلماتٍ عربيةً أو عبرية جاءت مع الكلمات الأعجمية في الخرجة، فلو سلّمنا بصحة تضمين الخرجات من أغان إسبانية قديمة، ما سلمنا مطلقًا بأن تلك الخرجات القديمة قد تضمّنت كلمات عربية أو عبرية، والنماذج والأمثلة على ذلك كثيرة –كما سنراها لاحقًا– ومنها قول الوزير أبي الوليد محمد بن عبدالعزيز بن المعلم[2]:

بِنْ سَحَّارَة، بِنْ سَحَّارَة
أَلْبَا كي استا كون فيغورْ
كواندو بييني بيدي أَمَوْرْ

Ven sahhara, ven sahhara
Alba que está con vigor
Cuando viene pide amor[3].

ومثل ذلك تمامًا في الرد على الزعم بأن الخرجات الأعجمية تضمين من أغان إسبانية القولُ في الموشحات ذوات الخرجات العامية، فليس من المعقول بتاتًا أن تكون تلك الخرجات العامية اقتباساتٍ من أغان أو أشعار قديمة، إذا سلمنا – جدلاً– أن الخرجات الرومانثية اقتباسات قديمة، ومثله تمامًا الخرجات العربية في الموشحات العبرية، والتي لا يمكن القول إنها من أصول إسبانية قديمة، فليس من المعقول اتخاذ ما ورد من الخرجات الأعجمية حجة على أصولها القديمة، مع ما ينفي ذلك من المظاهر التي تضمنتها الخرجات العامية، والعربية الفصيحة في الموشحين العربي والعبري، والعبرية في الموشح العبري.

على أن ثمة زعمًا أن النظم في العامية لم يظهر إلا بعد الموشحات[4]، لأنه « لما شاع التوشيح في الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلامته، وتنميق كلامه، وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابًا، فاستحدثوا فنًّا سموه

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط١، ١٩٨١م: ٤٦٩/١.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين: ٢٤٠–٢٤١، ومعناها: تعالي يا ساحرتي، فالسَّحَر الجميل عندما يقدم يتطلب حبيبًا.

(3) Las jarchas romances de la serie árabe en su marco, Emilio García Gómez, Madrid, Sociedad de Estudios y Ediciones, 1965, (reed. Madrid, Alianza, 1990):pp. 94-95.

(٤) هنالك نظرة بأن الأول الزجل ثم الموشح انظر الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، محمد رجب البيومي، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ١١٤

بالزجل»[١]، على أن هناك كذلك من يرى العكس، وفي تصوري أنه أولى، لأن لدينا خرجاتٍ عاميةً في موشحات فصيحة، وهذا يعني أن الموشح لحقت بخرجاته اللغةُ العاميةُ والأعجميةُ، إلا إن كان المراد تلك الموشحات التي قيلت في بواكير ظهورها، وهذا يعوزه الدليل والبرهان، لانعدام الأنموذج المبكر من الموشح الذي يعتمد عليه، ويعتد به، ويشار إليه، وكذلك القول فيما ظهر من بواكير الموشحات العبرية الأندلسية، وخاصة تلك التي تتضمن خرجاتُها كلماتٍ عربيةً، أو كانت كلها خرجاتٍ عربيةً صرفةً.

لقد وضع ابن سناء الملك إطارًا للخرجة بمختلف أنواعها السابقة، مع الإشارة إلى أن هذا الإطار استفادت منه الخرجات الواقعة في الموشحات العبرية من خلال اقتفائها آثار الموشحات العربية، إذ يرى أنه ينبغي ألا تخرج الخرجة عن حدود هذا الإطار، وقد لخصه الدكتور إحسان عباس في الأمور التالية:

١- أن تكون عامية حادة ظريفة، فإذا كانت معربة خرج الموشح عن أن يكون موشحًا.

٢- أو يحسن أن تكون معربة إذا كان الموشح في المدح وذكر في الخرجة اسم الممدوح.

٣- أو يجوز أن تكون معربة وان لم يكن الموشح في المدح على شرط أن تكون هزازة سحارة.

٤- وقد تكون عجمية وهنا أيضا يجب أن يكون لفظها سفسافًا لاذعًا.

٥- يقدم لها بما يمهد لورودها مثل قلت وقالت وغنى وغنيت ويكون ذلك على لسان الحمام أو الفتاة أو الغرام أو الهيجاء أو غير ذلك[٢].

اعتنى كذلك المهتمون الإسبان بالخرجة في تآليفهم، وذكروها في أطراف حديثهم عن الأدبين العربي والعبري عمومًا، وعن الأدب الأندلسي على وجه الخصوص، حتى كثر تناولهم لها في حديثهم عن غنائية الشعر الأوروبي عامة، والإسباني على وجه التحديد، كما أنه لا يَرِد - في أية كتابة لهم- ذِكرٌ للموشح بنوعيه العربي والعبري ثم يكون غفلاً عن الخرجة، بل إن مؤلفاتهم المختصة بالخرجة، والمتعلقة بها دون سواها من أجزاء الموشح كثيرة جدًّا، فذكروا تاريخها، وأصولها، وأنواعها، وحللوها تحليلاً فنيًّا، وتوسعوا كذلك في تعريفها؛ حتى زعموا أنها: «أغاني فتاة عاشقة تسر بها لأمها أو صديقة موثوق بها، أو صاحبة قريبة منها، تشكو من خلالها غياب الحبيب، أو هجرانه، وعذاب الوله والهيام ... لذلك فإنها في التعبير عن أوقات الألم أكثر منها في الحديث عن البهجة... ومن أهم المعاني الواردة في الخرجة عند جملة المستعربين:

(١) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق: أ.د. حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ١٤٢، نقلاً عن مقدمة ابن خلدون، والعذارى المايسات في الأزجال والموشحات، فيليب قعدان الخازن، مطبعة الأرز، جونيه، ١٩٠٢م: المقدمة (ج)، نقلا عن مقدمة ابن خلدون.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م: ٢٣٦

١- الوداع والغياب.
٢- التساؤلات المؤلمة.
٣- الغيرة.
٤- مغامرات العشق وشكاوى النساء.
٥- الجسد.
٦- المرأة متحررة أو محافظة»[١].

ثالثًا: التمهيد للخرجة عند الوشاحين العرب والعبريين

من المعروف عند المهتمين عربًا ومستعربين Los Arabistas ومستعبرين Los Hebraistas أن أغلب الخرجات تأتي مسبوقة بألفاظ تدل عليها، وتشير إليها، ومن تلك الألفاظ في اللغة العربية أو ما شاكلها في اللغة العبرية: «قال، غنى، شدا، أنشد، نادى، دعا، بلغ، صاح، عنى، عرّض...» وذلك باختلاف الصيغ والتصاريف الواردة فيها، إضافة إلى غيرها من الألفاظ التي تدل على مقول القول أو الاقتباس. وللخرجة - باختلاف أنواعها - مع وجود هذه الألفاظ أو عدمها حالات:

١- ألا يسبقَ الخرجةَ لفظٌ من هذه الألفاظ مطلقًا، لا قبلها مباشرة، ولا أثناء أسماط الدور الذي يسبقها، ولا توجد قرينة تدل على الاقتباس لا من قريب ولا من بعيد، ومثال ذلك قول ابن زهر[٢]:

يَا رَاحِلاً لَمْ يُودِّعْ
رَحَلْتَ بِالأُنْسِ أَجْمَعْ
وَالفَجْرُ يُعْطِي وَيَمْنَعْ
مَرّتْ عينيكْ الملاحَا
سَحَرْ وَمَا وَدّعُوْنِي

ومن هذا النوع الذي جاءت خرجته غير مسبوقة بما يدل عليها، فلم تتضمن ولم يتضمن الدور الذي قبلها بما فيه من أسماط أيةَ إشارة إليها تلك الخرجةُ العربية في نهاية موشح عبري لموسى بن عزرا[٣]:

يَوْمَ تَوْدِيْعِهِ أَتَضَرَّعُ للهِ
أَرْجو أَنْ يُقَوِّي خُطُوَاتِهِ
وَأَنْ يَصُوْنَهُ بِرِعَايَتِهِ
حَفِظَ اللهُ خِلاً بَانَا
وَرَعَاهُ أَيْنَمَا كَانَا

فالخرجة في هذا الموشح العبري الأندلسي: حَفِظَ اللهُ خِلاً بَانَا *** وَرَعَاهُ أَيْنَمَا كَانَا، وتأتي هذه الخرجة العربية الخالصة التي لم يخلطها كلمة عبرية ولا رومانثية، وهي خرجة عربية فصيحة معربة، وقد جاءت كثير من الخرجات على شاكلتها في موشحات عبرية أندلسية.

٢- ألا يسبق الخرجة لفظ من هذه الألفاظ مطلقًا، ولكنها تشتمل على رابط غير الألفاظ الواردة سابقًا، وذلك على نحو يربط بينها من غير استحسان للفصل، لفساد المعنى إذا تأتى، وذلك نحو

(1) Clase para estudiantes argelinos:Cómo presentar el estudio de una moaxaja, Ahmed Ounane, ACTAS DEL XVI CONGRESO INTERNACIONAL DE ÁSELE, 2005, p. 513

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية، سيد غازي: ٢/٧٤و٧٥

(3) Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra' p. 57

ربط الخرجة بالدور الذي قبلها بألفاظ مثل: (لكن) في مثل قول التطيلي[١]:

غَير إذَا أحَبّ يُدَاهِي أوْ يُدَاهِنْ
أمَا كَفَى الضَّنى ظَاهِرًا والشّوْقُ بَاطِنْ
قَدْكنت ناسكاً أوكماكنتُ
ولكنْحُبُّ الِملاّحِ أَفْسَدَ نُسْكِيْ وَصَلاحِيْ

٣- ألا يسبق الخرجة لفظ من هذه الألفاظ مطلقًا، ولكن السياق المعنوي يدل على الاقتباس أو النقل أو مقول القول من غير قرينة لفظية تدل على ذلك، ومثال هذه الحالة قول ابن الصبّاغ[٢]:

إنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالوُصُوْلِ
لِقَبْرِ خَيْرِ الوَرَى الرَّسُوْلِ
السَّيِّدِ الأَرْفَعِ الجَلِيْلِ
فَثَمَّ نَخْلَعْ ثِيَابَ طُهْرِ
وَنُوْفِي رُوْحِيْ لمنْ نُرِيْدُ

ومثله قول ابن زهر[٣]:

كَبِدٌ حَرّى وَدَمْعٌ يَكِفُ
يَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلا يَعْتَرِفُ
أَيُّهَا المعْرِضُ عَمَّا أَصِفُ:
قَدْ نَما حُبُّكَ عِنْدِي وَزَكَا
لا تَقُلْ في الحُبِّ إنّي مُدعِ

فالخرجة لم يصحبها ما يدل على اقتباسها، ولكن قوله: «أيها المعرض...» يوحي بأنها اشتملت على النداء.

٤- أن يصاحب الخرجة لفظ يدل عليها، ولذلك مظاهر، منها:

- أن يكون اللفظ الدال على الخرجة في السمط الأخير من الدور، ولكن لا تعقبه الخرجة مباشرة، وإنما يحول بينهما بقية السمط الأخير من الدور، وهذا شائع في الخرجات، قال أبو حيان[٤]:

نَصَبَ العَينينِ لِيْ شَرَكَا
فَانْثَنَى وَالقَلْبَ قَدْ مَلَكَا
قَمَرٌ أَضْحَى لَهُ فَلَكَا
قَالَ لي يَومًا وَقَدْ ضَحِكَا:
أَتَجِيْ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسِ
نَحْوَ مِصْرٍ تَعْشَقُ القَمَرَا؟

ومن هذا النوع في الخرجات العربية الواردة في الموشحات العبرية قول ابن عزرا[٥]:

فِي اليَوْمِ الذِي ذَبُلَتْ فِيْهِ عَيْنَايَ
وَارْتَجَفَتْ مِن صَوْتِهِ مَسَامِعِي
هَمَسْتُ بِبَالِغِ الأَسَى:
كَمْ أُحْسِنْ لَهُ ظَنِّي
عَسَى يَرْجِعْ وَيَذْكُرْنِي

(١) ديوان الموشحات الأندلسية، سيد غازي: ٢٩٣/١.
(٢) نفسه: ٤٠٤/٢
(٣) رواية ديوان الموشحات الأندلسية ٧٨/٢: «لا تقل إني في حبك مدع» وهذا مكسور.
(٤) نفسه: ٤٢٥/٢
(5) Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra' p. 53

– أن يكون اللفظ الدال على الخرجة آخر كلمة في السمط الأخير من الدور، وتعقبه الخرجة مباشرة، دون أن يحول بينهما أية لفظة، ومثال ذلك قول ابن الخطيب[1]:

هَاكَهَا يَا سِبْطَ أَنْصَارِ العُلا وَالـذِيْ إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالْ

غَادَةً أَلْبَسَهَا الحُسْنُ

مُلا تُبْهِرُالعَينَ جَلاءً وصقَالْ

عَارَضَتْ لَفظًا وَمَعْنى وحلَى قَـوْلَ مَـنْ أَنْطَقَهُ الحُبُّ فَقَالْ:

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى

قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مكنَسِ

فَهوَفي حرٍّ وخَفْقٍ مثلَمَالَعِبتْ

رِيْحُ الصَّبَا بالقَبَسِ

ومنه الخرجة العربية الواردة في موشح عبري لموسى بن عزرا[2]:

يَا أَيُّهَا الرِّيمُ! سَرَقَتْ عَيْنَاكَ قَلْبِي

اتقِ اللهَ يَا قَاطنًا تحتَ التُّوْتِ

أَعِدْ إليَّ مَا سَلَبْتَهُ مِنّي، كَيْ لا أُغَنِّي:

ظَلَمْتَنِي في الحُبُّ ظُلْماً مُبِيْنْ

بَيْنِي وَبَيْنَك ربُّ العَالمِينْ

– أن يكون اللفظ واقعًا أثناء الخرجة، وبعد أن يكون الوشاح قد انتهى من أسماط الدور الأخير، وانطلق في الخرجة، ومن ذلك قول ابن مسلمة وقد شرع في الخرجة[3]:

إلا إِذَا كَانَ شَادِنْ

يَسْبِيْكَ مِنْهُ مَحَاسِنْ

حُلوَ الهَوَى مُتَمَاجِنْ

يُنَـادِي سِـيَّه: يَـاعَمِّ إحْـرزْ ثِيَـابي فقولـه: «ينادي...» وقع في أثناء الخرجة، ولو ساقها على الأكثر لوقعت قبل الشروع في الخرجة لا خلالها.

ومن هذا النوع من أنواع الخرجات، التي وردت الإشارة إليها بالقول أو ما أشبهه في أثناء الخرجة لا قبلها هذه الخرجة العربية الواردة في موشح عبري لموسى بن عزرا[4]:

حوّلَ وَجْهَهُ حِيْنَمَا تَوَسَّلْتُ إِليهِ

عِنْدَمَا استوقفتُهُ قَلِيْلاً لتَقْبِيْل شَفَتَيْهِ

إِنّي أُعَانِي مِن الذينَ يُقَاسُونَ الأَسَى

يَا ظبيُ بحقِّ الهوَى صِلْنِي

قَالَ لي: مَرِيْضٌ أَنَا دَعْنِي

فقوله: « قال لي.. » واقع في أثناء الخرجة العربية التي وردت في هذا الموشح العبري الأندلسي، مع ضرورة الإشارة إلى أن معظم الخرجات – سواء العربية منها الواقعة في موشحات عربية، أم العربية في موشحات عبرية، أم الرومانثية في موشحات عربية وعبرية – تكون الإشارة فيها بالقول أو ما ماثله قبل الخرجة، ويستوي في ذلك وقوعها في آخر السمط

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ٤٨٨/٢

(2) Op. Cit, pp. 48-49.

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية: ٦٤/٢

(4) Op. Cit, p. 55

الذي قبلها أو في وسطه أو في أوله، ولكن الذي يقلّ أن يكون ذلك في أثناء الخرجة نفسها، وأقل منها وقوعه في وسطها أو في أجزائها المتأخرة.

رابعًا: منزلة الخرجة العربية من الموشح العبري

لم تتفق الدراسات مثل اتفاقها على أن الخرجة آخر قفل في الموشح، فلا خرجة إلا هي، ولا يرد هذا المفهوم في أي جزء آخر من أجزاء الموشح، ولا في أي جزء من الشعر العمودي، ولا في سائر النظم والنثر، ومعنى أن تكون الخرجة خاتمة الموشح وقفله الأخير أنها مسبوقة بأقفال أخر، وهي تلك الفواصل الواردة بين الأدوار، أو أن الأدوار فواصل بينها، فلا أقفال متوالية، ولا أدوار متتابعة، وإنما يعقبُ الدورَ قفلٌ منذ الدور الأول حتى الأخير، ويشكّل الدور مع القفل الذي يليه مفهومَ البيت في الموشح على رأي من رأى ذلك، ولا يُعد القفلُ الأولُ إن كان جاء أولاً قبل الأدوار، لأن ثمة موشحاتٍ تبدأ بأدوار لا أقفال، وأكثر الموشحات جاء على خمسة أبيات بمفهوم البيت الموشحي لا الشعري العمودي، ولكنها ليست قاعدة دائمة، لأن هنالك موشحاتٍ جاءت أكثر من ذلك أو أقل، فثمة موشحات على سبعة أبيات وعلى ثمانية، كما أن هنالك ما جاء منها على ثلاثة - على أقل تقدير- فيما بين أيدينا من المصادر، بصرف النظر عن هيئة الموشح الأساسية التي وضعه الوشاح عليها في أول الأمر.

هذا فيما يتعلق بالموشح العربي الأندلسي، وأما فيما يتعلق بنظيره الموشح العبري، فالأغلب أن يأتي على ستة أقفال وخمسة أدوار، وندر خروجه عن هذا السياق المألوف، وأما في جانب التقديم والتأخير في القفل الأخير بحيث إنه قد يقع اللبس أحيانًا في تحديد الخرجة، فما كان منها خرجات عبرية صرفة فليس من شأن هذه الدراسة النظر فيه، إلا أنه لم يلحظ اختلاف الخرجة عن مكانها، وأما الخرجات الأعجمية الرومانثية والخرجات العربية الخالصة فلم يظهر لي مطلقًا فيما بين يدي من المظانّ أن تقدمت الخرجة على أي من الأقفال، لأن الخرجة واضحة بلغتها الرومانثية أو العربية، وبذلك ينتفي اللبس من النساخ في تقديمها على سائر الأقفال الواردة في الموشح العبري لعبرية المعجم اللغوي في سائر أجزائه باستثناء الخرجة التي تشير - بحسب مفرداتها - إلى نوعها من بين سائر الأنواع التي ترد عليها الخرجة، لذلك فإن منزلة الخرجة العربية على الواقع النظري والتطبيقي في الموشح العبري في مكانها الذي وضعت له، وهي خاتمة الموشح التي ينتهي بها، وهنا يبرز مظهر من مظاهر استقلالية الخرجة العربية في الموشح العبري، وليس في الحقيقة مظهرًا تنفرد به الخرجة العربية في الموشح العبري، وإنما هي سمة مشتركة لكل خرجة خالفت لغتُها أو معظمُها لغةَ موشّحها؛ إذ ليس بين أيدينا في موشحاتنا العربية خرجة رومانثية أعجمية وقعت في حشو الموشح؛ لأنه لا لبس في تأخرها بين المتعاطين مع النصّ الموشحي، لكن مقارنة بينها - وأعني خرجةَ الموشَّحِ العبريِّ العربيةَ - وبين خرجات الموشح العربي العربية فإنها أضبط وأدقّ

من حيث إنها لا تغادر موطنها الذي وضعت فيه، مع اختلاف الروايات والنساخ والمخطوطات، بخلاف العربية في الموشح العربي.

لا شك أن القفل الأخير في الجانب العربي الأندلسي هو الخرجة كما هو الحال في الموشح العبري، فلو قدمنا أو أخّرنا – افتراضًا – قفلاً في غير مكانه، وخاصة القفل الأخير لأصبح آخرُ الأقفال هو الخرجة؛ لأن المراد بها الموطن من الموشح لا ذات القفل فيه، ولا يحتاج إلى قرينة تؤكده، أو دليل ينفي سواه، لأن وقوعه آخر الموشح أدلّ الدلائل وآكد البراهين على أنه هو، ولكن ومن خلال استقراء عدد من الموشحات العربية فإن بعض الخرجات يحوم حولها الشك في أن تكون واقعة في غير مكانها، خاصة عندما تتقدم على سواها من الأقفال، وذلك لأسباب تتعلق بها خاصة أو بالموشح الواردة فيه عامة، ومنها:

– أن من شروط الخرجة أن تكون عامية أو أعجمية، وليست كذلك.

– أن تكون مسبوقة بما يدل على مقول القول، أو الغناء أو أية إشارة تدل على ذلك، وهذا ما لم يرد في الخرجة وورد فيما سواها من الأقفال.

– ألّا يتضمن أي قفل من أقفال الموشح سواها على الكلمات العامية ولا الأعجمية، وقد ورد في بعض الأقفال قبلها.

لذلك فإن من المرجح في أن الخرجة الظاهرة في بعض الموشحات ليست هي الخرجة الحقيقية بناء على المعطيات السابقة، ومن ذلك قول ابن زهر[1]:

وَنَاظِرٍ نَاضِرُ المحيَّا حَيَّا
أَرَاكَ مِنْ قَوْلِهِ إليَّا لَيَّا
فَأنشدتهُ لمن تَهيّا هيّا
وَاحِدْ هُوَ يَا أمِي مِن جِيرَانِي رَانِي
وَنَاطِقٍ بالذيكَفَاهَا فَاهَا
وَبعْدَمَا راغبًا أتَاهَا تَاهَا
وَبِالجَمَالِ الذِي سَبَاهَا بَاهَى
قَالَتْ عَلى الحسنِ مَنْ سَبَانِي بَانِي

فالخرجة بناء على مقتضيات المنطق هي القفل الأخير – بحسب البيتين السابقين – ولكن لبعض السمات التي تنصلت عنها، وتمسَّكَ بها القفل الذي قبلها يترجح أن تكون الخرجة الحقيقية هي القفل قبل الأخير في هذا الموشح وأن حقها التأخير على القفل الذي يليها؛ لأنه ربما حدث خطأ من الناسخ في التقديم والتأخير، واستحقاق القفل قبل الأخير أن يكون هو الأخير، وبذلك يكون هو الخرجة، وذلك لأن ما قبلها لم يتضمن مقول القول، كما أنه لم يرد فيه لفظ عامي، وهذا ليس السبب الرئيس، وإنما أكده وزاد من ترجيحه أنّ كل ما يشترط في القفل الأخير (الخرجة) تضمنه القفل قبل الأخير، مما يرجح كونه هو الخرجة، فألفاظه عامية أو غير معربة مثل: (واحدْ) و(امي) و(راني)، كما أنه سُبق بما تسبق به

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ١١٥/٢

الخرجة من الدوالّ على الاقتباس أو النقل، أو مقول القول الموحي به (فأنشدته:...)، وكل ذلك يدل على أن هذا القفل هو الخرجة الحقيقية؛ إذ لا يسوغ بأية حال من الأحوال ارتكاب محظورين محذورين: تزنيمُ الموشح، وسلب الخرجة حقوقها، وبنقل القفلين ينتفي هذا الخلل والزلل.

المبحث الثاني

الحضور العربي في خرجات الموشح العبري الأندلسي

لا أشك في أن الموشح العبري الأندلسي إحدى هبات اللغة العربية للعبرية، وهي حسب علمي هبة لا يجوز إنكارها، بل إن الشعر العبري وهو أوسع وأشمل من الموشحات قد تأثر بالشعر العربي نظمًا وقافية، والبراهين على هذه النظرة عديدة، لعل منها ما أودعه الشاعر اليهودي دوناش بن لبرط דונש הלוי בן לַבְרַט، Dunash ben Labrat في الشعر العبري في الأندلس بعد تأثره الكبير بالشعر العربي[١]

عندما ارتحل إلى العراق، ويسع الموشحَ العبري في هذا الجانب ما وسع الشعرَ العبري من هذا التأثر الذي لا يمكن تجاوزه دون الإشارة إليه، حتى غدا الموشح العبري تابعًا للموشح العربي، وزاد من تبعيته الحضور اللغوي العربي في أهم أجزائه، وأخلد أقفاله.

- وكما أشارت إليه هذه الدراسة - فإن الناظر في بنية الموشح العبري الأندلسي، وفي لغته عامة، ولغة خرجاته خاصة، وفي وزنه، وقافيته، وموضوعاته، وأنواعه، وأقسامه، وما تتسم به الخرجة على وجه الخصوص في نهايته من سمات ليَتَأَكد له بما لا يدع مجالاً للريب أنه يسير على سَنن الموشح العربي الأندلسي، متأثرًا به حتى في موضوعات الحب والغرام والمديح، وإذا سلمنا أنها موضوعات يتشاطر فيها الوشّاحون والشعراء باختلاف خلفياتهم ومرجعياتهم، فإن الأكثر تأكيدًا لهذه التبعية أنَّ مظاهر هذا الفن المستحدث قد تجاوزت التواشيحَ العامة إلى التوشيح الديني - على الرغم من قداسة الجانب الديني لدى اليهود-[٢] الذي لم يخلُ من هذا التأثر البارز الذي طال كثيرًا من مظاهر الشعر العبري، والموشحات

(١) لا يقل بعض شعراء اليهود إتقانًا للشعر العربي من أبناء المسيحيين الذين تذمر منهم القس ألبرو القرطبي Álvaro el Cordobés عندما أشار إلى أنهم « ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنًا وجمالاً » تاريخ الفكر الأندلسي. أنخل جنثاليث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م:١٩، والحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال Évariste Lévi-Provençal، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٨٥م: ٩٩-١٠١، والجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم السيوطي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م: ٧٤، وعبدالرحمن الأوسط، سيمون الحايك، المطبعة البوليسية، بيروت: ١٦٦-١٦٧.

Espiritualidad y convivencia en Al-Andalus, Fátima Roldán Castro, universidad de Huelva, 2006, pág. 20. Y Origen, Progresos y Estado actual de toda la Literatura, Juan Andrés, Editorial Verbum, Madrid, 1997. vol. 1, pp. 146-147

(2) La Reelaboración Sacra De Xarajāt Profanas, Holy Adaptation Of Secular Xarajāt, Mercedes Álvarez Castrejón, Meah, Universidad de Granada. Sección Hebreo, 57 (2008), p.16

العبرية، وخرجاتها التي أكدت ذلك التأثير القوي على وجه التحديد.

وبالنظر في دواوين الموشحات العربية الأندلسية لا نكاد نجد أية إشارة إلى العبرية، ولا استخدام لكلماتها، ولا خرجاتها، إذا استثنينا من ذلك الشكَّ في بعض الكلمات الأعجمية التي لم تتضح كثيرًا للدراسين والمترجمين، خاصة وأنها ربما تكون موغلة في القدم، أو خاصة بالقطر الأندلسي من بين سائر أوروبة الرومانثية، مع أن الموشح العربي الأندلسي – لانفتاحه على الثقافات واللغات – قد اشتمل على كلمات عامية، بل وأعجمية إسبانية، وعلى خرجات رومانثية، منها ما كان بلغة خليط بين العربية العامية والفصحى والأعجمية، ومنها ما جاء على خرجات رومانثية صِرفة، بينما لم تتضمن الموشحات العربية أية خرجة عبرية على الأرجح، وعلى العكس من ذلك فقد كان للغة العربية حضورها القوي في الموشح العبري، ليس ذلك على مستوى المعجم اللغوي الظاهر في الخرجات العربية والرومانثية فحسب، بل حتى على مستوى الأقفال، فإذا اتفقنا على أن الدارسين قد أجمعوا – دون خلاف – على أن القفل الأخير من الموشح يسمى خرجة، فإن الموشح العبري قد خرج من إطار التبعية اللغوية المعجمية إلى التبعية المقطعية البنائية من خلال الخرجات العربية الكاملة التي طالت بوزنها وقافيتها الخرجةَ وسائرَ الأقفال في الموشح ذاته على حدٍّ سواء، بينما خلت الأدوار من هذا التأثير؛ لما لها من سمات تختلف عن سمات الأقفالِ، والخرجاتُ أهمها، مثلها في ذلك – من حيث الشكل والمضمون – مثل الموشح العربي بأقفاله وأدواره، وسمات خرجاته وشروطها وأنواعها.

وبالنظر للحضور العربي في الموشح العبري فإننا نلحظ أن العربية الفصحى –كمعجم لغوي – قلما تظهر في أثناء الموشح العبري، بينما كان لها الحضور الواضح في الخرجات، لأن الخرجة في الموشح العربي تسمح، بل تؤكد على ضرورة وجود اللفظ العامي أو الأعجمي، ومن هنا تأثرت الخرجة العبرية، أو بالأصح الخرجة في الموشح العبري بشروط الخرجة في الموشح العربي، وإزاء ذلك فإن الحضور العربي في خرجة الموشح العبري اتخذ المظاهر الآتية:

المحور الأول: الحضور العربي في الموشح العبري من خلال الخرجة الرومانثية

كما مرّ بنا سابقًا، فإن الخرجة في الموشح العبري إما أن تكون عبرية خالصة، أو عربية صِرفة، أو أعجمية بحتة، أو خليطًا بين العربية والأعجمية، وهي التي أعنيها في هذا المقام، إذ إن كثيرًا من خرجات الموشح العبري جاءت رومانثية، فاشتملت على كلمات أعجمية قديمة، وعلى كلمات عربية، سواء أكانت منحدرة من عامية الأندلس أم منتقاة من العربية الفصحى، والظاهرة البارزة في الخرجات الرومانثية في الموشح العبري أنها جاءت خليطًا بين اللغة العربية وبين اللغة الأعجمية دون أن يكون ثمة كلمات عبرية في الخرجة، بينما رأينا في الخرجات

الرومانثية في الموشح العربي وجود الكلمات العربية إلى جانب الكلمات الأعجمية، وهذه الظاهرة تضاف إلى مظاهر التبعية التي اتسمت بها الخرجات في الموشح العبري، وتأثرها الكبير باللغة العربية بناء ونظمًا، وشكلاً ومضمونًا.

إن النماذج على الخرجات الرومانثية في الموشح العبري كثيرة، ولن أتطرق إلى تلك الخرجات الرومانثية التي جاءت بكلمات أعجمية صرفة دون أن يُلمس فيها الحضور اللغوي العربي، وإنما أورد شواهد مقصورة على الخرجات الرومانثية التي جاءت خليطاً من الكلمات العربية والأعجمية، شريطة أن تكون تلك الخرجات الرومانثية واردة في موشحات عبرية، وليست لموشحات عربية أصلاً، وهذه نقطة لابد من التأكيد عليها، لأن الحديث عن الخرجات الرومانثية في الموشحات العربية حديثٌ لا يتعلق بهذه الدراسة التي جاءت لتتناول الحضور العربي في خرجات الموشح العبري، سواء أكانت تلك الخرجات عربية صرفة، أم خليطًا من الكلمات العربية والأعجمية، هذا من جانب، ومن جانب أخرى فإني قد أفردت دراسة مستفيضة أخرى تتناول جانب الخرجة الرومانثية في الموشح العربي الأندلسي.

وبدراسة عدد من تلك الخرجات الرومانثية الواردة في الموشحات العبرية، بعد التأكد من تضمّنها كلمة أو كلمات عربية يتضح تباين الحضور العربي في أثنائها على النحو الآتي:

١. الخرجة الرومانثية ذات الأغلبية العربية في الموشحات العبرية

وأعني بتلك الخرجات الرومانثية ذات الأغلبية العربية ما جاءت في نهاية الموشح العبري، وكانت مزيجًا من الكلمات العربية والكلمات الأعجمية، ولكن العربية أكثر من الأعجمية فيها، وفي الحقيقة فإن معظم الدارسين الإسبان يسمّون الخرجات التي وردت فيها كلمات أعجمية قديمة بالرومانثية حتى وإن كان السواد الأعظم من كلماتها عربيًّا، ولعلّ من الصواب أن تكون الخرجة الواردة على هذه الصورة خرجة مختلطة لا رومانثية، وهذا يدعونا في الحقيقة إلى التنويه بأهمية عقد دراسة متخصصة ومتعمقة في هذا الجانب، ومن الأمثلة على هذا النوع من الخرجات قول الوشاح العبري في خرجة رومانثية امتزجت فيها العربية بالأعجمية قول الشاعر الوشاح اليهودي يهودا هاليفي[1]:

يا ربِّ كومو بيبيريّو
كون استي الحرّاق
يَا مَنْ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمْ
يَهَدِّد بِالفِرَاق

فهذه خرجة رومانثية جاءت خاتمة لواحد من الموشحات العبرية، وقد وردت في كثير من المراجع الأجنبية التي تناولت الحديث عن الخرجات عمومًا، أو تطرقت للغنائية الإسبانية، والغنائية الأوروبية، وكذلك الحال في المراجع والدراسات التي اهتمت

(1) http://www.jarchas.net/jarcha-6.html

بالموشحات عامة، والخرجات خاصة، كما أنها وردت في عددٍ من المواقع الإلكترونية التي أوردت نماذج من الخرجات الرومانثية في الموشحات بشكل عام.

إن أكثر كلمات هذه الخرجة الرومانثية عربيةٌ، بينما اشتملت على عدد يسير من الكلمات الأعجمية التي كانت متداولة في الأندلس عندئذٍ، ومن الكلمات العربية الواردة في هذه الخرجة: يا، ربِّ، الحرّاق، يا، من، قبل، أن، يسلّم، يهدد، الباء، الفراق، في حين وردت بها بضع كلمات أعجمية، مثل: Como، Vivireyo، Con، Este.

وبالنظر للمعجمين العربي والأعجمي في هذه الخرجة يتضح أن الكلمات العربية تتناول الدعاء من خلال لفظ: يا رب، ليتبين تعلّق الوشاح بطلب معين، ويدعو ربه في تحقيقه، أو يشكو إليه حالته التي لم يستطع التأقلم معها، كما كان من ضمن هذا المعجم العربي ألفاظ تدل على الحدث الأساس الذي تناولته الخرجة، مثل: الهارب، الذي يهدد، الفراق، السلام، وهي ألفاظ قامت على متنها الخرجة، وتجلّى بها المعنى، وكانت بمثابة العمودي الفقري الذي لا يمكن أن تتم الخرجة إلا به، على أننا حين ننظر إلى الكلمات الأعجمية فإنها لا تتجاوز أدوات الربط والاستفهام التي تساهم بشكل أو بآخر في بناء الجملة، لكنها روابط قد تتكرر في جمل عديدة، وليست ألفاظًا حاسمة في التركيب العام، مثل: كيف، مع، وكذلك اسم الإشارة: هذا، ما عدا كلمة: أعيش؛ لأن لها وضعًا آخر في تحديد المعنى، ولعلّ في كثرة الكلمات العربية استحواذًا على هذه الخرجة الأعجمية كما وصفها العرب والمستعربون والمستعبرون، مع أن كلماتها العربية التي ارتكزت عليها أكثر من الكلمات الأعجمية كما أُشير إليه سابقًا، ومعنى هذه الخرجة بالعربية غير بعيدٍ عن المتلقي لهذا السبب:

يَا رَبِّ كَيْفَ أَعِيْشُ
مَعَ هَذَا الهَارِبْ
يَا مَنْ قَبْلَ أَنْ يُسَلّمْ
يُهَدِّدْ بِالفِرَاقْ

ولو نظرنا إلى هذه الخرجة بإعادة صياغتها وإغفال الكلمات الأعجمية لما استغلق معناها على الأفهام، فبجملة المكوّن العربي الوارد فيها، دون الأخذ بأيٍّ من الكلمات الأعجمية يستطيع المتلقي أن يحدد المعنى التقريبي للخرجة التي أرادها الوشّاح، مثل أن نقول:

يا ربِّ، الحرّاق، يَا مَنْ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمْ يَهَدِّد بِالفِرَاق

فبهذه الألفاظ وحدها يُفهم من المعنى أن المتكلّم يتشكّى من الهارب الذي يهدده بالفراق قبل أن يسلم عليه، وبذلك يصبح البناء الأساسي في هذه الخرجة من نصيب المكوّن العربي الذي اعتمدت عليه في نهوض قوامها، وهو ما يمنحها الهوية التي تظهر عليها.

ومن النماذج كذلك في الموشحات العبرية للخرجات الرومانثية التي تضمنت كلمات عربية

وأعجمية، وكانت العربية أكثر من الأعجمية خرجةٌ رومانثية في موشح عبري لوشاح مجهول:

يَا أَسْمَرْ يَا قُرَّةَ العَيْنَيْن

كي بورتاد ليبار الغَيْبَة حَبِيْبي.

ومعنى الخرجة باللغة العربية: يَا أَسْمَرْ يَا قُرَّةَ العَيْنَيْن، مَن الّذِي يَقْوَى عَلَى الفِرَاقِ، يَا حَبِيْبي؟ ومعظم كلماتها عربية، وهي: يا، أسمر، يا قرة العينين، الغيبة، حبيبي، وأما الألفاظ الأعجمية: Quien، Soportar، ومعناهما: مَن يتَحَمّل، وبذلك تكون هذه الخرجة الرومانثية في الموشح العبري ذات كلمات عربية تربو على تعداد الكلمات الأعجمية، وهذه واحدة من سماتها وصفاتها.

وهي مثل الخرجة السابقة ؛ فقد كان النصيب الأكبر من معجمها للفظ العربي، وهو ما أعطاها صبغة عربية، ويخرج عن ذلك: مَن؟ وهي - أيضًا - أداة استفهام، وكلمة: يحتملُ، وهي فعل مضارع مثل الفعل المضارع: أعيشُ الوارد في الخرجة السابقة، وبالتالي فإن كثرة الكلمات العربية في هذه الخرجة قد حّدد مسارها العربيّ جيّدًا، إضافة إلى حاجة التراكيب إلى هذه الكلمات بعينها؛ لتتحدد الصورة العريضة للخرجة، مثل: النداء الذي ورد أكثر من مرّة، ومثل: أسمر، قرة العينين، الفراق، حبيبي، ولو أعيدت صياغة النص كما هو من دون الكلمات الأعجمية، وعرض على من لم يسبق له سماعه لما ابتعد كثيرًا معناه عن الفهم، مع ملاحظة أنه يفتقر إلى الترابط:

يا أسمر، يا قرة العينين، الغيبة، حبيبي

فبهذه الكلمات التي نُزعت منها الكلمات الأعجمية لا ينأى المعنى كثيرًا عن فهم المتلقي، وسيجتهد في معرفته، مع التأكيد على أنه يحتاج فعلاً إلى الكلمات التي نزعت منه لاكتمال المعنى الدقيق الذي تريده الخرجة.

ومن هذا النوع من الخرجات الرومانثية ذات الكلمات العربية الكثيرة كذلك قولُ يهودا بن غياث:

مَامَا قُوْلِي لِيَعْقُوْب

عَقْلُ النِّسَا بوكَا

نون تَبِيْت نَأيًا لِي

حُبِّيْ لِمَنْ يَبْقَى؟

فهذه خرجة في موشح عبري اشتملت على الكلمات الأعجمية التالية: Mama ماما، Poca قليل، Non لا، بينما كانت الكلمات العربية أكثر: قولي، ليعقوب، عقل، النساء، تبيت، نأيًا، لي، حبي، لمن، يبقى، فهذه عشر كلمات عربية مقابل ثلاث أعجمية في خرجة واحدة لموشح عبري أندلسي.

وهي كذلك خرجة أكثر ألفاظها عربي، حتى إن العَلَم الذي ورد في أثنائها ورد بلفظه العربي: «يعقوب» لا بلفظه العبري، ولا الأعجمي، وإذا ما أمعنّا النظر في الكلمات الأعجمية وجدناها: ماما، قليل، لا، وفي الحقيقة أن المعجم العربي سيطر على اللفظ والمعنى في هذه الخرجة، ولعل مرد ذلك كثرة الكلمات العربية من ناحية، ولأهميتها في تحديد اتجاه المعنى من ناحية أخرى، وبذلك فلو أُسقطت

الكلمات الأعجمية، ونُثرت الخرجة بألفاظها العربية فقط لما احتاج السامع إلى إعمال فكره كثيرًا للتوصل إلى المعنى المراد.

والذي أريد الوصول إليه من فرضية حذف الكلمات الأعجمية في هذه الخرجات المذكورة، والاكتفاء بالكلمات العربية أن القواعد الوطيدة، والكلمات الأساسية في بناء النص كانت من نصيب المكوّن العربي، وأن الكلمات الأعجمية لم تفرض نفسها كمحددٍ أساسي لا يستغني عنه المتلقي، بخلاف ما سنراه لاحقًا عندما ينعكس المعجم اللغوي، ومع ذلك فإن لهذه الألفاظ الأعجمية مكانتها في تحديد المعنى، ولا أعني بمكانتها كمعجم لغوي لابد منه، وإنما كلفظ – بغض النظر عن لغته– يساعد في تشكيل المعنى بصورته النهائية في النص، إذا افترضنا أن الخرجة نصٌّ، وخاصة في تلك الخرجات التي اختلف معجمها اللغوي عن الموشّح الذي جاءت في سياقه، وهذا في تصوري يحتاج إلى دراسة في نصيّة الخرجات، خاصة وأن ثمة صوتًا أجنبيًّا يملأ الآفاق بادعائه استقلالية الخرجة في نص متباين عن موشحتها التي وردت خاتمة لها.

٢. الخرجات الرومانثية ذات الأغلبية الأعجمية في الموشحات العبرية

وهي تلك الخرجات الواردة في الموشحات العبرية الأندلسية، وجل كلماتها أعجمية، ولكنها اشتملت على كلمة أو كلمتين أو أكثر من اللغة العربية، وكانت محصلة تلك الكلمات العربية أقلَّ من الكلمات الأعجمية، سواء أكانت تلك العربية فصيحة أم عامية، ومن ذلك قول الوشاح العبري[1]:

باي يا راقي باي تو بيّا

كي نون مي تيينس النيّا

ففي هذه الخرجة المختلطة ثمان كلمات أعجمية، وثلاث عربية، فالأعجمية: Vay: اذهب، Tu Viya: في طريقك، Que: لأن، Non: لا، Me tenes: لا تملك لي، وأما الكلمات العربية: يا، راقي، النية، مع ملاحظة تحريف كلمة النية إلى النيّا، لكي تتوافق في رويها مع كلمة القافية من الغصن السابق: بيّا، وترجمة هذه الخرجة الرومانثية الواردة في هذا الموشح العبري على هذا النحو:

اذْهَبْ أَيُّهَا الرَّاقِي، اذْهَبْ فِي طَرِيْقِكَ

لأَنَّكَ لا تَمْلِكُ لِيْ حُسْنَ النِّيَّة.

بالنظر إلى الكلمات العربية الواردة في هذه الخرجة الرومانثية يتبين أنها ثلاث كلمات فقط: يا، راقي، النية، – ولكنها كما يبدو لي – كلمات لا يمكن فهم نص الخرجة على وجه العموم من دونها، وخاصة كلمة النيّة، لأنه لا يمكن فهم المعنى بشكل واضح في حالة حذفها، بخلاف الواقع فيما يتعلق بكلمتي: يا، وراقي، لأن المعنى يكتمل تقريبًا من دونهما، لذلك، فإن كلمة عربية واحدة قد يفسد الاستغناء عنها النصَّ كاملاً، كما هو الحال في نص الخرجة التي

(1) El Enigma de las JARCHAS, Pedro Martin BAÑOS, 31.

لو افترضنا – مثلما سبق في الخرجات الرومانثية ذات الأغلبية العربية – أن تكون على هذا النحو:

اذْهَبْ، اذْهَبْ فِي طَرِيْقِكَ؛ لأَنَّكَ لا تَمْلِكُ لِيْ حُسْنَ...

وهذا مؤشر – في اعتقادي – على أن جُلّ الكلمات العربية في الخرجات الرومانثية الواردة في موشحات عبرية كلمات لا يمكن الاستغناء عنها أو عن بعضها، وأنها وردت لبناتٍ ثابتةً، يعد التخلي عنها تقويضًا لهذا البنيان، بخلاف بعض الكلمات الأعجمية، لأن الملاحظ أن بعض الخرجات الرومانثية لو استغنت عن كلماتها الأعجمية لما اضطرب المعنى كثيرًا، ولو لوحظ الارتباك في اللفظ أحيانًا.

ومن الخرجات الرومانثية ذات الكلمات الأعجمية والعربية، وزادت عجمتها على عربيتها في الموشح العبري كما هو الحال في الخرجة الماضية قولُ الوشّاح[1]:

كي أداماي
فيليولو أليينو
اد ال أ ميبي
كيريدلو
دي مي بيتاري
سو الرقيبِ

فمن الملاحظ في هذه الخرجة الرومانثية الواردة في هذا الموشح العبري كثرة كلماتها الأعجمية، بينما لم تتضمن من الكلمات العربية إلا كلمة واحدة، ومعنى الخرجة بالعربية:

إِنِّي أَحْبَبْتُ
غُلامًا غَرِيبًا
وَهُوَ أَحَبَّنِي
وَيَرْجُو انْفِصَالَهُ
عَنِّي الرَّقِيْبُ

جاءت جميع كلمات هذه الخرجة الرومانثية أعجمية بحتة إلا كلمة: الرَّقِيْب، ولم تتضمن الخرجة أية كلمة عربية سواها، ومن المنطق أن يكون تأثيرها ضئيلاً في الخرجة، سواء على المستوى اللفظي أم المعنوي، إذا افترضنا أن هذا من سمات المعجم اللغوي في الخرجة، وإذا نظرنا في المقارنة بين تأثير كلمة أعجمية واحدة في خرجة بقية ألفاظها عربية، وتأثير كلمة عربية واحدة في مثل هذه الخرجة يتضح أن الكلمة العربية كانت منتقاة بعناية، وأن حذفها يربك المعنى ويفسده، بخلاف ما عُرض من الأمثلة السابقة في جانب الكلمات الأعجمية، فإذا أُسقطت هذه اللفظة العربية من هذه الخرجة اختلّ معناها، وما تحدد مبتغاها، يقول الوشّاح على لسان الفتاة:

إِنِّي أَحْبَبْتُ غُلامًا غَرِيبًا وَهُوَ أَحَبَّنِي وَيَرْجُو انْفِصَالَهُ عَنِّي..

فلو افترضنا جدلاً حذف «الرقيب» وهو مطلب عند العشاق، لحدث لبس في المعنى، وبما أنه الفاعل في هذه الجملة، فسيصبح الفاعل بدلاً منه الضميرُ

(1) http://www.jarchas.net/jarchas-1---15.html

المستتر الدال عليه الفعل المضارع «يرجو»، وبذلك يختلف المعنى تمامًا عن المعنى الذي يريده الوشّاح، فضلاً عن حذف واحد من العناصر الأساسية في فصول العشق العربي عند الوشاحين والشعراء، الذي طالما أفسد عليهم لذة اللقاء.

المحور الثاني: الحضور العربي في الموشح العبري من خلال الخرجة العربية الخالصة

إن وجود كلمات عربية متناثرة في خرجات أعجمية لموشحات عبرية في غاية الأهمية عند الحديث عن نظرية التأثر والتأثير، وما لذلك من أثر بارز على الدراسات الأدبية المقارنة، خاصة وأنه يقود إلى الحديث عن قضية مؤثرة في مسيرة الشعر الغنائي الإسباني، ورغم أهمية هذا الوجود الذي يذهب بالموضوع إلى آفاق أبعد في هذا المجال فإن الأكثر أهمية، والأشد لفتًا للأنظار هو تلك الخرجات العربية الصرفة الواردة في موشحات عبرية، ومعنى ذلك – إضافة إلى التبعية الخالصة – أن هذه الخرجة قفلٌ من الأقفال، وهذا يقودنا إلى التأكيد على أنها مماثلة لسائر الأقفال في الموشح، وهي أقفال عبرية خالصة؛ ولذلك نستطيع الجزم أن الخرجة العربية ألزمت – وخاصة عند القول إنها أول ما يبنيه الوشاح – سائرَ الأقفال العبرية بالسير على وزنها وقافيتها، وهذا غاية التأثير، بل نهاية التبعية والتقليد، إذ لم تقتصر التبعية على لغة الخرجة، بل طالت سائر أقفال الموشح وزنًا وقافية وأغصانًا.

يبرهن اختتام أي موشح عبري بخرجة عربية على تجذر الحضور العربي في الموشح العبري من خلال هذا الجزء والقفل المهم في نسيج الموشح، ليس ذلك فحسب في مفهوم الخرجة ولغتها، وإنما يمتد إلى جميع أقفال الموشح منذ المطلع أو المذهب إلى آخر قفل من أقفاله، إذ لابد للوشاح من أن يبني جميع أقفاله على وزن الخرجة وقافيتها دون تغيير أو تبديل، إضافة إلى ما أحدثته الخرجة العربية في نسيج الموشح العبري من مظاهر لغوية، وصرفية، وصوتية، إضافة إلى المظاهر الدلالية التي قد لا توجد في لغة أخرى غير العربية.

ومن خلال الخرجات العربية في الموشحات العبرية التي تقارب مائة خرجة يتضح أنه يمكن تصنيفها من حيث الفصاحة والعامية إلى ما يأتي:

أ) خرجات عربية فصيحة معربة، وهذا النوع من الخرجات وإن كان موجودًا في الموشحات العبرية على استحياء فإنه كذلك في الموشحات العربية، ولا ترد الخرجة في الموشح العربي الخالص فصيحة معربة إلا بشروط سبقت الإشارة إليها، ومن باب أولى أن تكون كذلك في الموشح العبري الخالص، إذ لا يمكن أن يتضمن الموشح العبري خرجات عربية فصيحة بمنأى عن الموشح العربي، لأنه يسير على نهجه في البناء؛ لذلك فإن في الموشحات العبرية عددًا ليس بالكثير من الخرجات العربية الفصيحة المعربة، وأعني

بالفصيحة الجانب اللفظي، وبالمعربة الجانب النحوي، ومن هذا النوع قول الوشاح العبري[١]:

حَفِظَ اللهُ خِلاً بَانَا
وَرَعَاهُ أيْنَمَا كَانَا

ومثله قول الآخر[٢]:

جَنانٌ يَكُفُّ الكَدَرْ
وَكَفٌّ تَدُرُّ المطَرْ

ومنه كذلك قول الوشّاح العربي الآخر[٣]:

أَتَرَاهُ لخَطْرَةِ العُشَّاقِ؟
تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المآقِي

ب) خرجات عربية فصيحة غير معربة، وأقصد بها تلك الخرجات التي وردت في الموشحات العبرية الأندلسية، وكانت بلغة عربية فصيحة من حيث اللفظ، ولكنها غير معربة من ناحية النحو، وهو أكثر من النوع الفصيح المعرب، لأنه متوسط بينه وبين العامي الصِّرف، ومن هذا النوع من الخرجات قول الوشّاح العبري[٤]:

العِنَاقْ راحةْ كلِّ مُشْتَاقْ
والفِراقْ فَظَاعَةْ لمنْ ذَاقْ

ومنه كذلك قول الوشاح الآخر[٥]:

بِاللهْ رَسُوْلْ
قُلْ لِلْخَلِيْلْ
كَيْفَ السَّبِيْلْ
وَيَبِيْتُ عِنْدِيْ
حَفْلُ الحِجَالْ
نُعْطِهْ دَلاَلْ
عَلَى النَّكَالْ
وَنَزِيْدْ نُهْدِيْ

ت) خرجات عربية عامية، وعلى هذا النوع من الخرجات جاء السواد الأعظم من الخرجات العربية في الموشحات العبرية، ولا غرو فالموشحات العربية أصلاً تشترط عامية الخرجة أو أعجميتها، بل إن كثيرًا من الدارسين يشير إلى أن جميع الخرجات العربية الواردة في موشحات عبرية خرجات عامية، وعلى كلٍّ فإن النماذج على هذا النوع من الخرجات كثيرة جدًّا، ومنها قول الوشّاح العبري[٦]:

بَاشْ يعملْ يَا قومُ هَذا البينُ باشْ؟
كَم فُتّش عَليهْ وَليس نَدري من آشْ

ومثله في العامية قول الوشّاح الآخر[٧]:

بُوْسْ بُوْسْ بُوْسْ بِفَمّي
وَدَعْ سَوادَكْ يَا عَمِّي

وعلى هذا ورد قول الوشاح العبري الأندلسي - أيضًا - [٨]:

حَبِيْبِي إِنْ أَكَلْتَ التُّفَّاحْ
قُمِ اعْمَل أُفَّ آحْ

(1) Ninety-Three Arabic Harǧas in Hebrew Muwaššaḥs, pp. 144-157
(2) Ibid, pp. 144-157
(3) Ibid, pp. 144-157
(4) Ibid, pp. 144-157
(٥) هذه الخرجة العربية وردت عند أبي بكر الأبيض في عدة الجليس ١١٠، وديوان الموشحات ٤٠٢/١ باختلاف يسير، وتقديم أحد الأغصان على الآخر.
(6) Op. Cit, pp. 144-157
(7) Ibid, pp. 144-157
(8) Ibid, pp. 144-157

المحور الثالث: تكرار الخرجة في الموشح العربي والعبري

وأعني بها تلك الخرجات سواء أكانت رومانثية ذات كلمات عربية وأخرى أعجمية، أم عربية خالصة، شريطة أن تكون قد وردت في موشح عربي وآخر عبري، أو أكثر من ذلك، ولا شك أن ثمة عددًا من الخرجات الواردة عند الوشاحين العرب، وعند الوشاحين اليهود، دون تمييز للعصور التي وردت فيها، ولا لعدد المرات التي تكررت فيها، وبالنظر إلى تلك الخرجات يتضح أن لها مع التكرار مظاهر منها:

١. الخرجة الرومانثية المتكررة

وهذا هو الكم الأكبر من الخرجات المتكررة عند الوشاحين العرب واليهود، وقد تبين أنها ترد أحيانًا بنصها دون تغيير عند أكثر من وشاح، وأحيانًا تختلف بعض كلماتها وعباراتها من وشاح إلى آخر، سواء أكان الاختلاف في عباراتها يتعلق بحشو الخرجة أم كان في قوافي أغصانها، وقد يكون باختلاف حرف واحد أو أكثر من حرف، أو كلمة واحدة أو أكثر منها، وعند الاتفاق فيما بينهما على قوافي أغصان الخرجة، وإن اختلفا في الحشو فتلك دلالة قاطعة على أن الموشحين اللذين تضمنا خرجة رومانثية واحدة يتفقان في أقفالهما من حيث عدة الأغصان، والوزن، والقافية، وهذا باب واسع لمن أراد إجراء المزيد من الدراسات في مجال المقارنة بين الموشحات العربية والعبرية في هذا الجانب بالتحديد، ومن تلك الخرجات الرومانثية التي تكررت عند أكثر من وشاح عربي وعبري خرجة أعجمية صِرفة خالية من أية لفظة عربية، وقد وردت هذه الخرجة عند ابن بقي[١]، وباختلاف في النسخ عند يهودا هاليفي[٢]:

بنيد لا بشقة إد بيين سين الّ

كومو كانيد ميو كوراثون بور الّ

وهي أعجمية خالصة، وليس بها لفظ عربي، والملاحظ أنها تكررت عند وشاح عربي وعبري، ومعناها باللغة العربية – مع التنويه إلى أن هذه الخرجة قد نالها الكثير من الاختلاف في التأويل والتفسير والترجمة–:

أَقْبَلَ العِيْدُ وَمَا أَزَالُ مِن دُوْنِهِ

كَمْ يُعَانِي قَلْبِي مِنْ أَجْلِهِ!.

– ومنها – أيضًا – قول يهودا هاليفي ووشاح عربي مجهول[٣]:

كومو سي فيليول ألينو

نون ماس أدورميس إن ميو سينو

(١) ديوان الموشحات الأندلسية: ٤٧٨/١، وعدة الجليس: ٢٥٥.

(2) Hispano-Arabic Strophic Poetry, Stern, pp. 135-136, http://www.jarchas.net/jarcha-5.html

(٣) http://www.jarchas.net/jarcha-7.html

وقد جاءت هذه الخرجة الرومانثية الصرفة الخالية من أية لفظة عربية على لسان فتاة عند وشاحينِ عربي ويهودي، ترسيخا لظاهرة التبعية، والتي تجاوزت سمات الخرجة ولغتها إلى التمهيد لها على ألسنة الفتيات، كما هو الحال غالبًا في خرجات الموشحات العربية، ومعنى هذه الخرجة في اللغة العربية:

يَا أَيْهَا الغُلامُ الغَرِيْبُ

لَنْ تَنَامَ بَعْدَ اليومِ في حُضني

لقد كثر تضمين الخرجات الرومانثية الخالية من الكلمات العربية بين الموشحات العربية والعبرية، وبين العربية نفسها حتى أصبحت ظاهرة، والمتتبع للموشحات عربيها وعبريها يجد تباينًا أو توافقًا في تكرار تلك الخرجات، وإن لم تتكرر بلفظها أو ببعضه تكررت بمعناها أو ببعضه.

٢. الخرجات العربية الصرفة المتكررة

ورد عدد من الخرجات العربية في موشحات عربية وموشحات عبرية، وتباين تكرار تلك الخرجات بالنظر إلى لغة الموشح، فمنها ما تكرر في موشحات عربية متعددة، وورد في موشحة عبرية واحدة، ومنها ما ورد في موشحة عربية واحدة، وتكرر في أكثر من موشحة عبرية، ومنها ما ورد مرة واحدة في موشحة عربية، ومرة أخرى في موشحة عبرية واحدة، ومن تلك الخرجات كذلك ما كان عربيًّا فصيحًا، ومنها ما كان بلهجة عامية، كما أن منها ما ورد متكررًا بنصِّه، ومنها ما جاء فيه اختلاف يسير. فمن الخرجات العربية المتكررة في موشح عربي واحد وآخر عبري قول ابن اللبانة[١]:

عَاشِقَيْنِ مُعْتَنِقَا

رَبِّ لا يَفْتَرِقَا

ومن الخرجات العربية المتكررة عدة مرات في أكثر من موشح عربي، بينما وردت في موشح عبري واحد خرجةٌ وردت عند وشّاحين عربيين ووشاح يهودي[٢]:

قُلْ وَزِيْد يَا طيّبَ الخبرِ

عنِ الأحبابِ بَعْدُ مَا فَعَلوا

ومن الخرجات الواردة عند أكثر من وشاح عربي وعند أكثر من وشاح يهوديٍّ قوله:

يَا حَمَامُ يَا حَلاّقْ

يَا حَنِيْنِي

أَيْنَ غِبْتَ البَارِحْ؟

لَمْ تَجِيْنيْ[٣]

(١) ديوان الموشحات: ٢٢٨/١

(٢) وردت هذه الخرجة العربية باختلاف يسير مرة لابن بقي وأخرى لابن زهر في عدة الجليس ٢٧٠و ٤٣٨، واستعارها الوشاح العبري تودروس أبو العافية.

(٣) وردت هذه الخرجة العربية - باختلاف يسير- عند وشاحين مجهولين في ديوان الموشحات: ٦٤١/٢ و٦٤٢، كما وردت عند يهودا هاليفي، وتودوروس أبو العافية في هامش عدة الجليس ٣٧٦

٣. استعارة بعض الأقفال من الموشح العربي كخرجاتٍ للموشح العبري

لم تكتفِ الموشحات العبرية بالخرجات العربية، ولكنها ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ إذ يُلحظ تكرار بعض الأقفال الواردة في موشحات عربية لتكون خرجات لموشحات عبرية، ومعنى هذا أن الحضور العربي البارز ليس على مستوى الخرجات المكررة فحسب، وإنما طال كذلك الأقفالَ فاستُعيرت لتكون خاتمة لها، وهذا يدلّ على قوة الحضور العربي من جانبين عامين فضلاً عن الجوانب الخاصة: **الجانب الأول**: من حيث الحضور المتمثل في ذات القفل الذي يعد كسائر الأقفال من حيث لغته وسماته؛ حتى يصبح خرجة للموشحة العبرية التي استعارته، **والجانب الثاني**: من حيث التوافق بين الموشح العبري والعربي بسبب استعارة هذا القفل؛ لتصبح جميع أقفال الموشح العبري على منوال أقفال الموشح العربي وزنًا وقافية وأغصانًا، وذلك بسبب استعارة قفل من أقفال الموشح العربي.

ثم إن استعارة أي قفل من أقفال أي موشح عربي يدلّ على أن الموشح العبري التزم بالفصاحة والإعراب في خاتمته، من خلال استعارته ذلك القفل ليكون خرجة، لأن جميع أقفال الموشح – ما عدا الخرجة – يجب أن تكون عربية فصيحة، وبالتالي فإن استعارة أي منها للموشح العبري تستدعي أن تكون عربية فصيحة كما هي في القفل الأصل الذي وردت فيه من أول الأمر.

فمن نماذج الخرجات العربية الواردة في الموشحات العبرية، والتي وردت – أيضًا – مطالع لموشحات عربية أندلسية قول الوشّاح:

نَسِيْمُ الرُّوْضِ فَاحْ
فَقُوْمُوا نَشْرَبُوْ[1]

ورد هذا القفل مطلعًا لموشحة أندلسية في عدة الجليس، ووردت كذلك خرجة عربية في موشح عبري أندلسي، ولعلّ في هذا القفل خاصية تشير إلى أنه ربما يكون موضوعًا في الأصل خرجة لا غير، والدليل في ذلك أن هذا القفل يتضمّن خروجًا على القواعد النحوية، وهذه سمة لا يصح أن يتضمنها أي قفل سوى الخرجة، وهي أن قوله: « نشربُ » ينبغي أن تكون « نشربْ » ولكنها وردت مضمومة على خلاف الأصل، وهذه من خصائص الخرجة إلا إذا كانت من باب الضرورة.

وإذا كانت الضرورة الشعرية قد تزيد من الفرضيات في الخرجة السابقة فإن اليقين في ورود الخرجة عند الوشّاح اليهودي مع أنها مطلع موشحة عربية ظاهر في قول ابن زهر:

---

(١) وردت هذه الخرجة العربية مطلعًا لموشحة في عدة الجليس: ٢٥.

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ المشْتَكى
كَمْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لمْ تَسْمَعِ[١]

ومنها ما تعدد تكرارها بين مطالع في موشحات عربية، وخرجات لموشحات عربية، وأخرى لموشحات عبرية عند أكثر من وشاح، مثل تكرار قفل من الأقفال ما بين مطلع وخرجة عند ابن الصيرفي، وابن عربي، وابن الصباغ، والششتري، وإسحاق بن غياث:

جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ
وَصِلِ السُّكْرَ مِنْهُ بِالسُّكْرِ[٢]

والمتتبع للخرجات العربية في الموشحات العبرية يجد عددًا لا بأس به منها ورد على هيئة استعاراتٍ من أقفال وردت في موشحات عربية أندلسية، وأغلبها مطالع تلك الموشحات[٣].

على أن عددًا من تلك الخرجات قد استقلت به موشحاتها؛ فلم ترد في أية موشحة عربية، وإنما كانت وقفًا على تلك الموشحات العبرية التي وردت ختامًا لها، وفي الحقيقة فإن هذا النوع يرسخ استقلالية عدد كبير من الموشحات العبرية بخرجاتها العربية، وهي يوحي بتأليف الوشّاح لها، دون الاعتماد على ما بين يديه من خرجات عربية، أو أقفال ومطالع عربية واردة في موشحات عربية أندلسية.

وتتضح هذه الاستقلالية إما من خلال انفراد الخرجة العربية بما يوحي أنها يهودية من سياق كلماتها ومصطلحاتها وإشاراتها العربية ذات المضامين اليهودية، ومن ذلك كلمة عبراني في قول الوشاح اليهودي:

قَدْ هَوَيْتُ أَهْيَفَ عِبْرَانِي[٤]

ومن ذلك - أيضًا - استعمال بعض المصطلحات الدينية اليهودية مثل: كلمة عيد، والسبت، ولفظ يهودي في نحول قول الوشاح العبري الأندلسي[٥]:

السَّبْتُ عِيْدِي
مِنْ أَجْلْ هَذَا الرَّأسِ اليَهُوْدِي

ومن هذا الجانب - أيضًا - ورود لفظة عبرية خالصة في جملة الخرجة العربية الواردة في الموشح العبري، مثل استعمال كلمة «أهوفي» العبرية في خرجة عربية من قول الوشاح العبري[٦]:

غَدَا خَدِّيْ شَرَابْ بشمُّهْ
(أهوفي)

(١) مطلع لموشح مشهور لابن زهر في عدة الجليس: ٤٢٦، وفي ديوان الموشحات: ٧٦/٢.

(٢) عدة الجليس ١٦١، وديوان الموشحات: ٤٠٦/١و ٣٢٢/٢ و٣٥٣ و٤١٠، وقد زاد فيها الوشاح العبري إسحاق بن غياث هنا غصنًا كاملاً، وهو جملة: واعربي.

(٣) ينظر المطالع في: عدة الجليس ٢٥ و١٦٢ و٤٢٦، وفي ديوان الموشحات الأندلسية ٤٠٦/١ و٥٥٣ و٧٦/٢ و١٢٣ و٣٢٢.

(4) Ninety-Three Arabic Harğas in Hebrew Muwaššaḥs, pp. 144-157, Love Songs from Al-Andalus: History, Structure, and Meaning of the Kharja, Otto Zwartjes,Brill, New York, 1997, pp. 219

(5) Op. Cit, pp. 144-157

(6) Ibid, pp. 144-157

فهـذه نمـاذج علـى خرجـات عربيـة وردت في موشحات عبرية، وهي تتسم بطابع الاستقلالية عن الموشحات العربية؛ حيث إنها لم تكن على سبيل الاستعارة والتضمين من موشحات عربية سابقة، كما هي الحال في التبعية الواضحة من خلال عدد من الخرجات العربية المتكررة في أكثر من موشح عربي وعبري.

وجملة القول: إن الخرجات العربية في الموشحات العبرية قد اتخذت مسارين في الاستقلال والتبعية: **فالمسار الأول**: أن منها ما كان عبارة عن خرجات توحي بالتبعية الكاملة من ناحيتين: الأولى من ناحية السمات الشكلية والبنائية التي وردت عليها الخرجة، وهي بذلك تبعية للسمات التي اتسمت بها الموشحة العربية الأندلسية، والثانية: أنها تبعية من حيث سيرها على منوال الموشح العربي الذي جاءت فيه، وباستعاراتها في الموشح العبري تكون قد ضمّنت السير على نهج ذلك الموشح، وبالتالي فإن التبعية هنا مركبة، أو بمعنى آخر تبعية عامة من حيث ورود الخرجات العربية، وخاصة من حيث اتباعها لموشح بعينه في وزن أقفاله، وألفاظه، وقوافيه.

أما المسار الثاني: فهو الاستقلالية، وهذا المسار متضمّن استقلالية بعض الخرجات العربية الواردة في موشحات عبرية عن الاستعارة والاقتباس من موشحات عربية، وبالتالي فإنها خرجات عربية أنشأها الوشاح اليهودي العبري دون الرجوع إلى موشح عربي بعينه، وهي وإن كانت مستقلة في هذا الجانب الخاص بها كجزء من موشح بعينه إلا أنها تتضمن التبعية للموشحات العربية عمومًا.

المحور الرابع: المعجم اللغوي للخرجات العربية في الموشحات العبرية

وأعني به القاموس الذي استعمله الوشاحون العبريون في خرجاتهم العربية الخالصة، وخرجاتهم الرومانثية المتضمنة كلمات عربية، والتي اختتموا بها موشحاتهم العبرية في الأندلس، وقد وردت هذه الألفاظ على هذا النحو:

الألفاظ الدينية، وأكثر هذه الألفاظ ورودًا في الخرجات العربية عند الوشاحين اليهود في الأندلس ألفاظ الجلالة؛ فقد وردت ألفاظ الجلالة كثيرًا في الخرجات العربية والرومانثية في الموشحات العبرية في الأندلس، وهذا دليل – أيضًا – يضاف إلى قائمة الأدلة التي تشير إلى تأثر العبرية عامة والموشحات خاصة، وخرجاتها على وجه التحديد باللغة العربية، واتباع تقاليدها، فاستعمل الوشّاحون اليهود كلماتٍ عربيةً دينية بحتة، بدلاً من استعمال نظائرها في اللغة العبرية، إذا علمنا التوجه الديني لدى اليهود في تلك الفترة، مع ما في ذلك من دعاء، وتوسل، وقسم،

واستقسام، ولو لم يبلغ التأثير مبلغه لاقتصر الأثر على كلمات الحب، والغرام، والعشق، والهيام، لا سيما أنها قواسم مشتركة بين العشاق فوق كل أرض، وتحت كل سماء، باختلاف لغاتهم، وثقافاتهم، وتعدد دياناتهم، فمن ألفاظ الجلالة التي كثر استعمالها في خرجات الموشحات العبرية: لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى، بالله، ربّ، ربّ العالمين، وهي ألفاظ متكررة كثيرًا في تلك الخرجات، حتى أصبحت ظاهرة ملموسة عند قراءة الموشحات العبرية في الأندلس، ومن الألفاظ الدينية الأخرى سواء أكانت إسلامية أم يهودية: بسم الله، رب العالمين، ربي، الدين، اليمين، القسم بالله، الله يسائل، الأخلاق، حسن الظن، السبت، عيدي، الحق..

ألفاظ ذوي القربى، وأهم ما ورد منها لفظ الأم؛ لأن كثيرًا من الخرجات - بشتى أنواعها - كانت تقال على ألسنة الفتيات اللاتي غالبًا ما كنّ ينادين أمهاتهن، أو أخواتهن، أو صديقاتهن، بغرض بثّ الشكوى، والأنين، كما أنها اشتملت - أيضًا - على كلمات وألفاظ تدل على القرابة، ومنها على سبيل المثال: أمي، ممَّا، مَامَا، عَمي، سيدي، سييدي، مويلتي، أخي، ابني.

ألفاظ الزينة: لا شك أن الأندلس من الأقاليم العربية والإسلامية التي تتباهى بالجمال والزينة، ظهر ذلك من خلال التراث الأدبي عامة، والشعري خاصة، والموشحات وخرجاتها لم تخل من تلك الألفاظ الدالة على الزينة، ولعل في الخرجات العربية في الموشحات العبرية ما يدل عليها، ويشير إليها، من أمثال: زيّ، حلي، جواهر، اللمة، الجمة، المسك، العطر، الفوّاح، الخِمار، عقد، عقود.

الألفاظ الزمانية: كما تضمنت الخرجات العربية في الموشحات العبرية في الأندلس عددًا من الألفاظ الدالة على الزمن، مثل: الصباح، السَّحَر، طول النهار، أضحى، سَرى، سُرى، غدا، غدوة، بِتْ، زمان، الدنيا، البارح، المنام، عام، سَنة.

ألفاظ تشير إلى أعضاء الإنسان أو صفاته الخلقية، مثل: الجمة، اللمة، الأشقر، الأسمر، العينين، عين، عيني، عينه، العقل، النفس، قلبك، قلبي، فمي، جنان، كفّ، كفّاه، المآقي، النواصي، الرأس، رأسي، الرؤوس، مقلته، لسانه، السمع، النظر، الناظر، الجِيْد، الجسد، خدي، يدي، فؤادي.

ألفاظ تشير إلى الحيوان أو تتعلّق به، وذلك مثل: الفيل، الذيل، الرشأ، الغزال، الغزالة، الظبي، يصيد، الصيد، صيد، صيدي، ليث، الأسود، حمَام، السلالق.

ألفاظ الخمر واللهو والشراب، خاصة وأن الأندلس كانت بيئة متعددة المشارب والمذاهب واللغات والثقافات، ومن تلك الألفاظ الدالة على هذه البيئة الخاصة: اشرب، نشربُ، شربتها، شراب،

امـلأ، اسـقِ، نسـقيك، السـاقي، الخَمَّـار، الخمـر، سكران، السُّكْر، المدام، العود، الكأس.

الأعـلام، سـواء أكانـت لأشـخاص بأعيـانهم، أم لأشـخاص رمزيـة، أم كانـت لأعـلام مكانيـة، وذلـك نحو: أبو يعقوب، يعقوب، موسى، أبو القاسم، أبو الحجـاج، أبـو حسـن، ابـن مهـاجر، ابـن المعلـم، إسـحاق، العـالمين، سـيدي، سُـييدي، قـوم، ثريّـا، شخص، الناس، بنات الروم، عربي، عبراني، يهودي، فلاني، الشام، إشبيلية، بلنسية، وادي الحجارة، قرى، بـلادي، الحـي، الحريـق، البراري، روض، أينمـا كـان، حيث يشاء، السبيل، الطريق، خلف، الزقاق، دار، دار الخمـار، العدوة، البحر، الآفـاق، مراتـع الأسـود، الطلول.

ألفـاظ الـدعاء والرجـاء والنـداء، وذلـك أن الخرجـات تتعلـق – غالبًـا – بـالغزل والهيـام، والعشـق والغرام، وما في ذلك من التعلق والترجي، ومن تلك الألفـاظ الواقعـة في الخرجـات العربيـة في الموشـحات العبريـة: يـا رب، بـاللهِ، رعـاه الله، حفـظ الله، دعـني، بحـق الهـوى، يـا مـن، يـا مـا، أيهـا، يـا مسـكين، يـا عـذولي، يـا عـاذلي، يـا أخـي، يـا عمـي، يـا بـني، يـا صـاحب، يـا مويلتي، يـا خِلّـي، يـا قـوم، يـا أسمر، يـا ظبي، يا صغير، يا حادي، يا طالب المعالي، يا قدرة، يـا حمَام، يـا حـلاّق، يـا حنيـني، أي كوكـب، واعـربي، واحسـرتي، واسـوادي، يـا افتضـاحي، بـالله يـا حبيـبي، قـف، قـم، قـل لي، قـل، قـولي، صـلني، ظـني، عسـى، يرجـع، يذكرني، بـت عنـدي، يبيت عنـدي، بحياتـك، ربّ لا يفترقـا، أطلقـوا سـبيلي، خلّـوني، زِيْـد، زودني، دع كـلام النـاس، اسـقِ، خـلّ، إليـك المشـتكى، دعونـاك، احـذر، أقصـرا، أطـيلا، دع، اعمـل، هيّـا، ترجّيني، جيني، جُد، يبقى معي، عرّج، اسمع، ارجعوا، أقبِل، اطلع، زرني، مه، نه، كن طبيبي، قل لي: نَعَم.

ألفـاظ الحـب والجمـال والتفـاؤل، ولعلهـا أكثـر الألفـاظ تـردادًا وتكـرارًا في الخرجـات العربيـة الـواردة في الموشـحات العبريـة، ويعـود ذلـك إلى خصوصـية هـذا القفل من ناحية، ولخصوصية هذا الغرض في نفوس النـاس عامـة، وفي سـياق الموشـح علـى سـبيل الخصـوص، ومـن أكثـر الكلمـات ورودًا وتكـرارًا: الهوى، وحق الهوى، هواك، الأهواء، هوينا، هويت، الحـب، حـبي، حبيـبي، الحبيـب، الحِـب، المحبـوب، يحبـك، أحببـت، أحـب، حِبّي، حبـني، الأحبـاب، الحبايـب، المحبـين، الخِـلّ، الخليـل، خِلـي، البشـارة، الحظ، قرة العينين، الرقيب، النساء، الملاح، أحسن، رسول، الوصل، الوصال، الجميل، الجمال، الجلال، الحجـال، الـدلال، الإقبـال، هـائم، أهيـف، عَشِـقَ، تعشـقُ، يعشـق، تعاشـقوا، عِشْـق، عاشـقين، العنـاق، يعانقـه، القبلـة، القبـل، قبليـني، زودني قبلـة، راحـة، مشـتاق، اشـتياق، ذاق، طيّـب الخـبر، نِعْـمَ، جـرّرِ

الذيل، خطرة العشاق، ظبي، الرشأ، الغزال، الغزالة، البدر، غرامي، أَعْذب، أحلى، بوس، بوسة، المسك، العطر، الفوّاح، الخال، نشمه، اشتمّ، نسلّم، انضمي إليَّ، لاعبتُه، صالح، شُقير، أحور، الشرف، بنات، انثنى، يرقّ، يرنو، يتلذّذ، السلامة، السلوان، السعود، نور عيني.

ألفاظ الحزن والأسى والتحمّل، وذلك للصلة الوطيدة، والعلاقة الشديدة بين الحب وهذه الألفاظ، خاصة إذا عجز العاشق من تحصيل مناه، ومن تلك الألفاظ: مريض، الفراق، الفُرقة، دعني، نودعه، بانَ، البين، الرقيب، النحول، العاذل، العذول، يصبر، فظاعة، ضرني، الدمع، حسادك، يتقلّقُ، المشتكى، الضنى، لهيب، النشب، خشيت، تاهت، مسكين، أبى الحب، نار ملتظية، هجْر، هجرني، ابتلى، همّ، تقتلني، قتالي، خانني، نقض العهد، مضى للسفر، غاب، غبتَ، يغيب، الغياب، الغيبة، الغربة، واحسرتي، يا افتضاحي، بان سرّي، ابكِ، حنيني، لم تجيني، أحرقتني، البائس، الهول، ترهقه، حزني، ظمأ، المستهام، نساني، أبطأ عني، بُلي، بلونا، ابتلينا، فلتعذلوا، يرحل، ما أصبرني، يستكنّ.

ألفاظ المخاصمة والتقاضي، وهي من الألفاظ التي يشترك فيها أرباب العشق والحب والغرام من الشعراء والوشاح، وقد ورد ألفاظ من مثل: ظلمتني، ظلمًا، مظلومًا، خصمه، القاضي، ينتصف، الحق، السلام، التهديد، الهارب، بيني وبينك، إليك المشتكى، احذر، تقتلني، قتالي.

ألفاظ من الطبيعة، مثل: المطر، الظلام، النسيم، الكدور، البدر، التفاح، غصن البان، البستان، الروض، الرياض، الروضة، الرمان، السفرجل، البارد، النور.. وغيرها

ألفاظ دالة على المعاملة والتعامل، وهي كثيرة جدًا، ومن الممكن تكرار بعضها في ما يناسبها من التصنيفات السابقة، ومن تلك الألفاظ: تاجر، جلالة، نتحرش، نخطر، زيّ، رخيصة، التهديد، الفراق، الهارب، حلي، جواهر، الرقيب، بيني وبينك، يرجع، يذكرني، صلني، دعني، بانَ، راقٍ، يبيت، نهدي، العناق، رأس مالي، لا يراني، نمرُّ بينه، أشار لي، اسقِ، السرّ، كم دعوناك، نصيبي، يطيع، العطية، عطية، تعاشقوا، الوصل، الوصال، العذار، بوس، بوسة، تَسُد، المطال، الخيانة، العهد، لاعبته، مزّق، جُد، حبّس، فلتعذلوا، اقرهم السلام، الإحسان، صنع الجميل، زرني، يَمُنّ، يجني، أوعدني.

ألفاظ التصغير: صغيّر، بُني، سُييدي، مُويلتي، شُقير، حرير.

أدوات الاستفهام: همزة الاستفهام (أ)، هل، مَنْ، كمْ، أين، لمن، كيف، ما، ماذا، واش، لمتى، باش، من آش، علايش، ليش.

ألفاظ أخرى، وهي ألفاظ كثيرة، منها ما كان أفعالاً، وأسماء إشارة، وأحرف جرٍّ، وأسماء موصولة، وضمائر، وغيرها من الألفاظ التي قد يصعب تصنيفها ضمن ما سبق ذكره، ومنها: هذي، النقال، النبال، له، قال لي، نمضي، نعطي، نزيد، نفرق، نملي، ينزل، يبقى، يكف، تقنع، تفخر، ملكنا، جلونا، فهمنا، فعلوا، أغنى، اقتنع، أخطأ، أبطأ، كانَ، الخبر، خبري، حديثي، أمري، جاري، دوني، عندي، حادي، شواغلي، المعالي، معاليه، تفخر العلياء، كلام، شيء، صعب، معنى عظيم، قلّما، القليل، سواد، سوادي، أف آح، أصلان، الركائب، السنية، أخو، الفرجات، مية بالمية، طريّة، قدرة، العلم، الدار، المنام، البارد، الطارق، صغار، كبار، السواري، شهب الرؤوس، القدر، حاله، لاشك، الشك، اليقين، المبين، وغيرها.

المبحث الثالث

قائمة بالخرجات العربية في الموشحات العبرية الأندلسية

ثمة عدد من مشاهير الوشاحين العبريين في الأندلس الذين جعلوا خرجات موشحاتهم العبرية عربيةً، ومنهم – أيضًا – من أورد خرجات رومانثية متضمنة كلمات عربية، ولكني أقتصر في هذا المبحث من هذه الدراسة على تلك الخرجات العربية الصرفة التي وردت عند أولئك الوشاحين اليهود في الأندلس، ومن أشهرهم: تودروس بن يهودا هاليفي أبو العافية (١٣٠٦م) Todros Ibn Yehuda Ha-levi Abul-Afia، وسليمان بن يهودا غابيرول (١٠٥٧م) Selomoh Yehudah Gabirol، وموسى بن صامويل هاكوهين غيقاتيللا (ق١١م) Mose Ibn Semuel Ha-kohen Giqtilla، ويهودا بن صامويل بن بالعام (النصف الثاني من ق١١م) Yehudah Ibn Semuel Balam، ويوسف بن بارزيل (ق١٢م) Yosef Ibn Barzel، وإبراهيم بن عزرا (١١٦٧م) Abraham Ibn 'Ezra، وإسحاق بن عزرا (١٢م) Yishaq Ibn 'Ezra، وموسى بن يعقوب بن عزرا (١١٣٩م) Mose Ibn Ya'qov Ibn 'Ezra، ويهودا بن إسحاق (١٠٨٩م) Yehudah Ibn Yishaq، ويوسف بن يعقوب بن سهل (١١٢٤م) Yosef Ibn Ya'aqov Ibn Sahl، ويوسف بن يعقوب بن صديق (١١٤٩م) Yosef Ibn Ya'aqov Ibn Saddiq، ويوسف بن شيشيت لاتيمي (ق١٣-١٤م) Yosef Ibn Seset Latimi، ويهودا هاليفي (١١٤٠م) Yehuda Halevi، وصامويل هاناجيد (١٠٥٦م) Semuel Ha-nagid، وإسحاق بن غياث (١٠٨٩م) Isaac Ghiyyat، وغيرهم.

عند هؤلاء الوشاحين اليهود الأندلسيين الذين تأثروا بالعرب عامة، وبالشعر العربي خاصة، وبالموشحات العربية الأندلسية على وجه التحديد تجلّت خرجاتٌ عربية في موشحاتهم، فمنها ما كان له امتداد في الموشحات العربية فاستُعير ليكون خرجة لموشح عبري، ومنها ما كان خرجة أصلاً، ولكن منها - أيضًا - ما لم يكن خرجة، وإنما كان مطلعًا لموشحة عربية، فأخذه الوشّاح العبري خرجة لموشحته العبرية، ومنها - أيضًا - ما كان عربيًّا فصيحًا، أو عاميًّا، هذا من ناحية البنية اللغوية، أما من ناحية تعدد الأجزاء فمن تلك الخرجات ما كان على غصن واحد، ومنها ما كان على أكثر من غصن، وهو الأغلب، حتى بلغت بعض الخرجات ثمانية أغصان، ولست في هذا المبحث بمستهدف استقصاء تلك الخرجات وترجمتها من مصادرها ومراجعها العبرية والأجنبية فحسب، وإنما أهدف من خلال ذلك إلى وضعها بين يدي الدارسين، فربما أذكت فيهم خاطرة، أو لقيت في دراساتهم مكانة، فتناولوها بالمزيد من القراءة والتحليل.

لم تكن كلّ الخرجات العربية عند الوشّاحين اليهود مستعارةً من موشحات عربية، بل إن منها عددًا ليس باليسير لم يتبيّن له أصل عند الوشّاحين العرب، وإنما هو من تأليف اليهود أنفسهم، أو على أقل تقدير لم يثبت أن له سابقة عند نظرائهم من الوشّاحين العرب، وبالتالي فإنّ للخرجات العربية في الموشحات العبرية في الأندلس من حيث نسبتها إلى قائليها عدة مظاهر لا يمكن أن تخرج عنها:

الأول: أن تكون لوشّاحين عرب معروفين بأسمائهم، وردت في موشحاتهم سواء أكانت فيها خرجات أم مطالع، ثم استعارها وشاحون يهود خرجات لموشحاتهم، وهذا هو الأغلب فيما بين أيدينا من الخرجات المتكررة عند وشاحين عرب ويهود.

الثاني: أن تكون لوشاحين عرب مجهولين، أو مجهولة نسبة الموشحات لقائليها، ووردت عند وشاحين يهود، وهنا يصعب تحديد الأسبقية في التأليف، سواء أكان الوشاح اليهودي الذي وردت عنده معلومًا أم مجهولاً، لأن الموشح العربي أصلاً مجهول النسبة بحيث يتعذر معرفة الأقدم من الوشّاحين.

الثالث: أن تكون واردة عند وشاحين يهود، ولم يثبت - فيما بين أيدينا من المصادر- أنها وردت لوشاح عربي، وبذلك فإنها تكون مستقلة عن الموشحات العربية، وتصبح عندئذٍ عبرية التأليف والانتماء، إذا أغفلنا جانبها اللغوي العربي.

الرابع: أن ترد عند وشاحين عرب ويهود، ويتعاصر أقدم الواردة عندهما من العرب واليهود، وبذلك تتعذّر نسبتها إلى أحدهما استباقًا من حيث

المنطق العقلي، وهذا قليل فيما بين أيدينا من النماذج.

وأما من جانب الفصاحة والعامية فإن السواد الأعظم من هذه الخرجات العربية عاميٌّ في معجمه؛ فإما أن تكون ألفاظها سوقية الاستعمال، وإما أن تكون عربية غير معربة، فمن المعجم السوقي العامي: يتقلّقُ، بوس، مية بالمية، زِيْد، تعنيقه، باش، آش، واش، علايش، ونحوها.

وأما من جانب الإعراب وعدمه فمن المظاهر البارزة عند الوشاحين اليهود في خرجاتهم العربية: التسكينُ وعدم الضبط بالشكل، ومن ذلك تسكين الفعل المضارع من غير جازم: نفرَّقْ ونمليه، كم أحسنْ، عسى يرجعْ ويذكرْني، باش يعملْ، احذر تَصِدْهَا..، ومن ذلك كذلك بناء الفعل الماضي على السكون: إن شخصْ فيَّ شاخص، وتسكين الأسماء أيّا كان موقعها الإعرابي، يا صغيرْ، تاهت غزالةْ، وتسكين الضمائر المبنية على إحدى الحركات، اصرفي قلبكْ، ولكن أكثر المظاهر التي اتسمت بها تلك الخرجات في هذا الجانب: المخالفةُ النحوية الكبيرة: مثل رفع المجرور، ومن ذلك قول الوشاح: عن يمينُه، من دينُه، نسلم على أبو يعقوب، ويمنّ عليّ بتعنيقُهْ، وإهمال لمْ وعدم إعمالها في المضارع الواقع بعدها: لم يراني، لم أحبُّه، لم يلحقُه، وإهمال النداء في مثل: يا أبو حسن، ومن المظاهر المخالفة للنحو كذلك: حذفُ الواو من الفعل «كان» عند صياغته للأمر المؤنث، فبدلاً من أن يقول كوني قال: كُنِ...، ومنها – أيضًا – مخالفة الصيغ المعهودة في العربية: أَفْيَد، يعتنقا، زِيْد، بُوْس، عَنُّهْ، مِنُّهْ..، وهذ في كل تلك المخالفات ليست مستقلة، وإنما تتابع فيها ما يحدث في خرجات الموشح العربي الأندلسي المشهور بمخالفته البناء اللغوي على مستوى الكلمة أو الجملة لما هو معمول به فيما سواها من أقفال الموشح ذاته الواردة فيه، هذا فيما يتعلق بالخرجات العامية، على أن ثمة خرجات عربية فصيحة في بنائها ومعجمها وإعرابها، ولكنها أقل بكثير من العامية، أو غير المعربة.

وأما في جانب القافية، وبالتحديد حرف الروي فإن الخرجات العربية الواردة في الموشحات العبرية تسير على منوال الخرجات العربية في الموشحات العربية، إلا أنه لوحظ أن لها سمة بارزة لم تقلّد فيها الموشح العربي، وهذه استقلالية واضحة في النص العربي الوارد ضمن النص العبري من خلال خرجات الموشحات العبرية، وتكمن استقلاليتها في اعتمادها على تقارب المخارج في حرف الروي، إذ ليس بالضرورة أن تكون أحرف الروي موحدة في مواطنها من الخرجة مقارنة بسائر الأقفال، وإنما تتسم خرجات الموشحات العبرية باستقلاليتها عن نظائرها العربية من خلال اعتماد تقارب الأصوات في حروف

الـروي، مثـل: النواصـي، رأسـي، قاضـي، هـذي، وغيرها.

وبرزت كذلك استقلالية الخرجات العربية المشتركة بين الموشحات العربية والعبرية عند ورودها في النص العبري بالزيادة في بعض أغصانها عن هيئتها التي وردت عليها في النص العربي، فإما أن تكون الزيادة حرفًا، أو كلمة، أو جملة، أو غصنًا أو غصنين، ومن الأمثلة على ذلك زيادة كلمة « واعربي » في إحدى الخرجات، ومنها - أيضًا - زيادة: وَنُنادِي فِي البَرَارِيْ: قَدْ مَلَكْنَا مَن هَوِيْنَا في خرجة « جَرِّرِ الذَّيْلَ » وغير ذلك من النماذج، على أن الالتزام بالنص العربي سمة واضحة في معظم الخرجات، فلا تكاد تحيد عنه، إن لم يكن بنصه الحرفي فباختلاف يسير، مع توافقهما في عدد الأغصان، والتي تختلف باختلاف كل موشّح ووشاح، حتى وجدنا في الخرجات العربية في الموشحات العبرية خرجات بغصن واحد، وهي على خلاف ما شاع في الموشحات العربية التي تأتي أقفالها على غصنين فأكثر، وتعدّ هذه كذلك استقلالية لها، تضاف إلى مظاهر الاستقلالية التي تجلّت في خرجات الموشح العبرية العربيةِ، ولكننا وبالنظر في جملة تلك الخرجات - من حيث تعداد أجزائها - نجدها سارت على هذا النحو:

أولاً: الخرجة العربية التي وردت على غصن واحد، ومنها[1]:

(١) قَدْ هَوَيْتُ أَهْيَفَ عِبْرَانِي

(٢) مَهْلاً طُوْلَ النَّهَارِ نُفَرِّقْ وَنُمْلِيْهْ

ثانيًا: الخرجة العربية التي وردت على غصنين، كقول الوشَّاح:

(٣) يَا صُغَيِّرْ يَا بُنَيِّ

وَاشْ يُحِبّكَ اللهْ

(٤) لا تَسَلْ عَنْ يَمِيْنُه

أَخْلاقُه أَفْيَد من دِينُه

(٥) كَمْ أُحْسِنْ لَهُ ظَنِّي

عَسَى يَرْجِعْ وَيَذْكُرْنِي[2]

---

(١) وردت الخرجات العربية الواردة في موشحات عبرية سواء أكانت خرجات عربية فصيحة معربة أم عامية، وكانت متناثرة في عدة الجليس، وديوان الموشحات الأندلسية، وفي عدد من البحوث والدراسات الأجنبية، وكان بعضها مجهول القائلين، وبعضها جمع بحسب اهتمام الباحث بالوشاح أو بجانب معين في حياته، أو مرحلة محددة من مراحل الأدب العبري في الأندلس، وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم ما اطلعت عليه من الدراسات الأجنبية التي حوال أصحابها جمع تلك الخرجات العربية، دون إعادة الإشارة إليها في الصفحات القادمة من هذا البحث تفاديًا للإطالة، وكثرة الإحالة، إلا ما دعت إليه الضرورة خشية اللبس:

- Ninety-Three Arabic Harǧas in Hebrew Muwaššaḥs: Their Hispano-Romance Prosody and Thematic Features, James Monroe, David Swiatlo, Journal Of the American Oriental Society 97.2, 1977, p. 144-157.
- Love Songs from Al-Andalus: History, Structure, and Meaning of the Kharja, Otto Zwartjes,Brill, New York, 1997, pp. 219

(2) Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra', P. 53

(٦) نَسِيْمُ الرُّوْضِ فَاحْ
فَقُوْمُوا نَشْرَبُوْ[١]
(٧) أَي بُوْيْدِق شَرْط (التَّحِيْل)
لَوْ تَنَحَّاني عقد الفِيْل[٢]
(٨) بحَيَاتك يَا ثُرَيّا
اصْرِفِي قَلبكْ إليّا
(٩) حَفِظَ اللهُ خِلاً بَانَا
وَرَعَاهُ أَيْنَمَا كَانَا[٣]
(١٠) يَا عَاشِقَيْنِ مُعْتَنِقَا
رَبِّ لا يَفْتَرِقَا[٤]
(١١) الخِبَاءُ وَالعَلاّلاتْ[٥]
أَوْقَفَتْ رَأسَ مَاليْ شَاهْمَاتْ
(١٢) وَإِنْ شَخَصْ فِيَّ شَاخِصْ
مِنَ النُّحُوْلِ لمْ يَرَاني
(١٣) فَكَمْ إلى كَمْ إلى كَمِ
سَنَسْقِيْكَ الخَمْرَ بِفَمِي
(١٤) جَلَوْنَا ظَلامَ الكُدُورْ
عَلى أنوَارِ تلكَ البُدورْ
(١٥) جَنانٌ يَكُفُّ الكَدَرْ
وَكَفٌّ تَدُرُّ المطَرْ
(١٦) أَطْلِقُوا سَبِيْلِي خَلُّوْنِي
إِنَّ خِلِّي لا يَصبرُ دُوْنِي
(١٧) العِنَاق راحةْ كلِّ مُشْتَاقْ
والفِراقُ فَظَاعَةْ لمنْ ذَاقْ
(١٨) قُلْ وَزِيْد يَا طيّبَ الخبرِ
عنِ الأحبابِ بَعْدُ مَا فَعَلوا[٦]
(١٩) وَاللهِ
إِنْ أَحْبَبْتُ إلا مَنْ حَبَّنِي
وَدَعْ كَلامَ النَّاسِ مَا ضَرَّنِي
(٢٠) يَا مَا نَمُرّ نِعمَ الحَبِيْب بَيْنُهْ
مِنَ الزقاق أَشَارَ لي بِعَيْنُهْ[٧]
(٢١) وَاعَـرَبي
جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ

(١) وردت هذه الخرجة العربية مطلعًا لموشحة في عدة الجليس: ٢٥.

(٢) هكذا قرأت هذه الخرجة اعتمادًا على النسخة المترجمة إلى الإنجليزية، ولم أستطع الوصول إليها في اللغة الأم (العبرية الأندلسية) لتواضع الإمكانات، وقلة المصادر والمراجع في هذا الجانب.

(3) Ibid, P. 57

(٤) في نسخة مترجمة إلى الإنجليزية: «رُبَّ لا يَتَفَرَّقَا» والصواب: «رَبِّ لا يَفْتَرِقَا» بدليل أنها خرجة عربية وردت عند ابن اللبانة في ديوان الموشحات: ٢٢٨/١، وهي في المرجع العربي من غير «ياء» النداء، كما أن آخر الغصن الأول: «اعتنقا».

(٥) هكذا وردت في: Ninety-Three Arabic Harğas in Hebrew Muwaššaḥs, 145 ولم أتمكن من الاطلاع على النسخة العبرية.

(٦) وردت هذه الخرجة العربية باختلاف يسير مرة لابن بقي وأخرى لابن زهر في عدة الجليس ٢٧٠و ٤٣٨.

(٧) وفي رواية أخرى أن آخر كلمة من الغصن الأول «Neno» ينظر: Love Songs from Al-Andalus, p. 223,

وَصِلِ السُّكْرَ مِنْهُ بِالسُّكْرِ[١]

(٢٢) أَتَرَاهُ لِخَطْرَةِ العُشَّاقِ؟

تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي المآقِي

(٢٣) اشْرَبْ مُدَامْ وَاسْقِ مَنْ تَعْشَقُوْ

وَخَلّ حُسَّادَكَ يَتْقَلّقُوْ

(٢٤) أَغْنَى عَنِ الرَّشَا وَالبدرِ أَغْنى

فَهِمْنَا سِرَّ مُقْلَتِهِ فَهِمْنَا

(٢٥) أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ المشْتَكى

كَمْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لمْ تَسْمَعِ[٢]

(٢٦) غَرامِي وَالضَّنَى أَضْحَى نَصِيْبِي

وَقَلْبِي فِي اشْتِيَاقٍ وَلهِيْبِ

(٢٧) قَدْ كُنْتَ مَنْشُوبًا وَخَشِيْتَ النَّشَبْ

وَذَا الأَهْوَا هَوَاكَ شَيْ صَعَبْ

(٢٨) تَاهَتْ غَزَالَةْ فِي رَوْضِ المحِبِّيْنْ

احْذَرْ تَصِدْهَا تَنْشَبْ يَا مِسْكِيْنْ

(٢٩) يَا عَذولِيّ أَقْصِرَا وَأَطِيْلا

قَدْ أَبَى الحُبُّ أَنْ يطيعَ عَذولا

(٣٠) بَاشْ يعملْ يَا قومُ هَذا البينُ باشْ؟

كَم فُتّش عَليهْ وَليس نَدري من آشْ

(٣١) دَارٌ وَعَلالٌ وَنَارٌ مُلتَظِيّةْ

يَا أَخِي لَيْسَ بَعْدَ ذِي العَطِيَّةْ عَطِيّةْ

(٣٢) تَعَاشقُوا فَإِنَّ للعشقِ معنىً عظيمْ

وَقَلَّمَا يَعْشَقُ إِلا كَرِيمْ

(٣٣) السَّبْتُ عِيْدِي

مِنْ أَجْلْ هَذَا الرَّأسِ اليَهُوْدِي

(٣٤) هَجْرُ الدَّلالِ

أَعْذَبُ مِنْ وَصْلِ العذارِ

(٣٥) بُوْسْ بُوْسْ بُوْسْ بِفَمّي

وَدَعْ سَوادَكْ يَا عَمِّي

(٣٦) فَبَارِكْ ذَاكَ لاحْ

أَحْلَى مِنَ المِسْكْ وَعِطرْ وفوّاحْ

(٣٧) يَا أَبُو حَسَنْ

إِنْ لمْ تَسُدْ وَإِلا فَمَنْ

(٣٨) سَكْرَانْ يَا عَيّارْ

وَأينُ الطَّرِيق لِدَارِ الخَمّار

(٣٩) بِكُلِّ همّ ابْتَلاني

عِشْقُ الفُلاني

(٤٠) تَقْتُلُني بِالمِطَالِ

يَا صَاحِبَ الخَالِ

(٤١) حَبِيْبِي إِنْ أَكَلْتَ التُّفَّاحْ

---

(١) وردت هذه الخرجة في موشح ابن الصيرفي وابن عربي والششتري وابن الصباغ في ديوان الموشحات: ٣٢٢/٢ و٣٥٣ و٤١٠، وهي مطلع موشحة لابن باجة في المرجع نفسه ٤٠٦/١، وفي عدة الجليس ١٦١، وقد زاد فيها الوشاح العبري إسحاق بن غياث هنا جملة: واعربي..

(٢) وردت هذه الخرجة العربية كلها أو ورد جزء منها خرجةً عند ابن عربي في ديوان الموشحات: ٣١٩/٢، وعند تودوروس أبو العافية اليهودي، مع أنها مطلع لموشح مشهور لابن زهر في عدة الجليس: ٤٢٦، وفي ديوان الموشحات: ٧٦/٢.

قُـمِ اعْمَـل أُفَّ آحْ[1]

(٤٢) غَدَا خَدِّيْ شَرَابْ بشمُّهْ

(أهــوفي)[2]

(٤٣) عُوْدًا يُسَوّى وَكَأْسًا يُملا

أُرِيْكُـم بِسْـمِ اللهْ

(٤٤) نَقَضَ العُهُودَ وَخَانَنِي عَلايْشْ؟

يَا قَـومْ وَأَنَا عَلى عَهْدِي مُقِيْمَا

(٤٥) لَوْ كَانَ العِشْقُ بِالقُبَلْ وَالعِنَاقْ

لَمْ تَكنْ ثَـمَّ مِلاحٌ وَلا عُشَّاقْ

(٤٦) نَمْضِي لإِشْبِيْلِيَةْ فِي زِيٍّ تَاجِرْ

نَخْطُرْ وَنَتْحرّشْ بِابنْ مُهَاجِرْ[3]

ثالثًا: الخرجة العربية التي وردت على ثلاثة أغصان:

(٤٧) (نحَيْد) بمَا يلقحْ[4]

كَغُصْنٍ مِنَ البَانِ

عَاد إليَّ أَصْلانِ

(٤٨) دُرِي حَدِيْثِي وَقَدْ شَاعَ خبَرِي

دُري وَقَـدْ كَـانْ

وشْ عليَّ إنْ كَـانْ دُري[5]

(٤٩) حِبِّي مَضَى لِلسَّفَرْ

لَيسَ عِنْدَهُ شكٌّ مِنْ أَمْري

نَعْشَقُهْ غَابَ أَوْ حَضرْ

(٥٠) يَا مُوَيْلتِيّ هَيَّا

قَبِّلِيْنِي وَانْضَـمِّي إليّا

مِنْ تَحتي وَإلا فَكُنِ عَليّا

(٥١) حِبي زوّدني قُبلةْ

فَإِنِّي مِنْ غُـدْوةْ

خَارِجٌ إِلى العُدْوَةْ

(٥٢) قُمْ يَا خِلي لِلْبُسْتَانْ

وَاحْـرِزْ خِـمَارِي

فَـلا فِيْهِ جَـارِي

(٥٣) وَاحَسْرَتِي وَمَاذَا جَرَى لي

لاعَبْتُهُ فمزَّقَ دَالي

مَـعْ قِـتَـالي[6]

(٥٤) لمتَى بِوَصْلِكْ تُرَجّيني؟

جِيْنِي يَا حَبِيْبِي فَجُدْ جِيْنِي

وَبِـتْ عِنْـدِي

(٥٥) سَرَى حَدِيْثِي وَقَدْ سَعَى خُبْرِي

يَـا افْتِضَاحِـي

وَشْ عَـليّ إِنْ بَانَ سِرِّي؟

---

(١) وردت هذه الخرجة العربية مع اختلاف يسير عند ابن عربي في ديوان الموشحات: ٢٧٦/١.

(٢) جاءت آخر كلمة « أهوفي » في هذه الخرجة عبرية بمعنى: حبي أو حبيبي، مع الملاحظ أن جميع كلمات الخرجة عربية ما عداها.

(٣) هذه الخرجة وردت مرة رومانثية، وأخرى عربية في موشح عبري لموسى بن عزرا في:
Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra', p.59

(٤) هكذا استطعت قراءتها.

(٥) وردت هـذه الخرجـة العربيـة في (عـدة الجليس ١٧١) لوشـاح مجهول.

(٦) وردت هذه الخرجة العربية عند ابن بقي في ديوان الموشحات: ٤٦٥/١

رابعًا: الخرجة العربية التي وردت على أربعة أغصان:

(٥٦) حَبِيْبِي قَدْ أَخْطَاْ
مَنْ حَبَّسَ البَدْرَا
عَنِّي لَقَدْ أَبْطَتاْ
وَأَشْغَلَ السُّرَى[١]
(٥٧) مَنْ كَانَ مَظْلُوْمًا
وَخَصْمُهُ قَاضِي
هَلْ يَنْتَصِف باللهِ
مَنْ حَالُهُ هَذِي؟[٢]
(٥٨) قِفْ نُوَدِّعُهْ
عَسَى نبَدِّعُهْ
إِنْ لَمْ يَبْقَ مَعِي
تَحْمِلني مَعُهْ
(٥٩) يَا حَادِيَ الرَّكَائِبْ
وَاللهِ إِنْ شِئْتَ الشَّامْ
عَرِّجْ عَلى الحَبَائِبْ
وَاقرِهِمُ السَّلامْ
(٦٠) مَنْ رَأى لَيْثَ البَدِيَّة
أَنْبَأَتْ كفّاهُ بَحْرًا
بِمَعَالِيْهِ السَّنِيَّةْ
تَفْخَرُ العَلْيَاءُ فَخْرَا
(٦١) فَيَا طَالِبَ المعَالي
اسْمَعْ فَإِنِّي لَكَ نَاصِحْ
أَقْصِدْ زَمَانَ الدُّنَيَّا
فَأَخُو الفرجَاتِ صَالِحْ
(٦٢) يَا ظَبِيْ
بحقِّ الهَوَى صِلْنِي
قَالَ لِيْ:
مَرِيْضٌ أَنَا دَعْنِي[٣]
(٦٣) باللهِ باللهْ
مَاذَا تَعِيْبُ لِي؟
جَمْعُ الرُّمَّانِ
مَعَ السَّفَرْجَلِ
(٦٤) مِيَّة في مِيَّةْ
شَقِيْرْ طرِيَّةْ
لِسَانُه طَرِيَّة
غَيْرَ العطيّة
(٦٥) مَنْ عَشِقْ يُعذَر

(١) وردت هذه الخرجة باختلاف يسير عند الحصري في ديوان الموشحات ٢٠٤/١ وعند ابن الصيرفي في عدة الجليس ١٤١، وعند ابن رافع رأسه في جيش التوشيح، ابن الخطيب، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس ١٩٦٦م: ٧٥، ومن صيغها:

حبيبي قد أبطا من أمسك البدرا
عنّي لقد أخطا وأشغــل السّـرا

ومن اختلاف روايتها في تلك المصادر أو أحدها: محبوبي..، من أمسك..، حتى لقد أخطا.

(٢) وردت هذه الخرجة العربية باختلاف يسير عند أبي الفلو البلنسي في عدة الجليس ١٣٥، كما وردت عند موسى بن عزرا في: Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra' pp. 50-51.

(3) Op. Cit, p. 55

وَأَنَا عَشِقْتُ غَزَالا
أَحوَرَ أَسْمَرْ
قَدْ مَلا الآفَاقَ جَمَالا
(٦٦)مَنِ يَصِيْدُ صَيْدَا
فَلْيَصِدْ كَمَا صَيْدِي
صَيْدِي هُوَ الغَزَالَةْ
فِي مَرَاتِعِ الأَسُوْدِ[١]
(٦٧) يَا قُدْرَةَ العِلْمِ
وَالجَلالِ والشَّرفِ
هَلْ بِكمُ مُوْسَى؟
فَارْجِعُوا إلى خَلفِ[٢]
(٦٨) قِفْ بِتِلْكَ الطُّلُوْلْ
وَابْكِهَا يَا رَسُوْلْ
وَسَلِ الدَّارَ عَنْهُمْ
وَاسْتَمِعْ مَا تَقُوْل
(٦٩) لابُدَّ أَرُدّ يَدِي
عَلى رَأْسِي
أَسُوْقُ بَنَاتِ الرُّومِ
بِالنَّوَاصِي[٣]

(٧٠) يَا حَمَامُ يَا حَلاّقْ
يَا حَنِيْنِي
أَيْنَ غِبْتَ البَارِحْ؟
لَمْ تَجِيْنِيْ[٤]
(٧١) أَيْ كَوْكَبَ الإِقْبَالْ
اطْلَعْ نُسَلِّمْ
عَلى أَبُو يَعْقُوْبْ
ابنِ المعَلِّمْ
(٧٢) ظَلَمْتَنِي فِي الحُبْ
ظُلْمًا مُبِيْنْ
بَيْنِي وَبَيْنَك ربْ
العَالمِيْنْ
(٧٣) هَجَرَنِيْ مَنْ أُحِبْ
وَانْثَنَى
لَوْ لَمْ أحبُهْ أَنَا
لَمْ يَهْجُرْ
(٧٤) اللهْ يُسَائِلْ لمنْ كَانْ
حَبيبُهْ
يمرُّ حَيْثُ يَشَاْ الزَّمَانْ
يُغَيْبُ
(٧٥) أَمَا إِنْ أَحْرَقَتْنِي الغُرْبَةْ

(١) وردت هذه الخرجة – باختلاف يسير– مطلعًا لموشحة لابن غرلة في ديوان الموشحات ٥٥٣/١
(٢) وردت هذه الخرجة العربية في موشح عربي منسوب إلى ابن الرافع رأسه – باختلاف في بعض ألفاظها – في عدة الجليس ٤٥٨.
(٣) وردت هذه الخرجة ليوسف بن الشامي في: Love Songs from Al-Andalus, 222-223
(٤) وردت هذه الخرجة العربية عند وشاحين مجهولين في ديوان الموشحات: ٦٤١/٢ و٦٤٢ باختلاف يسير.

نَرْجَعْ لِبِـلادِيْ
وَإِنْ لَمْ يرِقّ لي خِلِّي
يَا قَوْمِي وَاسوَادِي[١]
(٧٦) فَبَحْرٌ مِنَ الإحْسَانِ
وَصُنْعِيَ الجَمِيْلِ
وَلِلْبَائِسِ بَحْرٌ ثَانِ
مِنْ هَوْلٍ مهِيْلِ
(٧٧) الغَزَالْ شقَّ الحَرِيقْ
وَالسَّلالِقْ تُرْهِقُهْ
مَا حُزْنِي إلاّ حرير
إذَا مَا لم يَلْحَقُ[٢]
(٧٨) زُرْنِي وَلَوْ في المنَامِ
وَجُدْ وَلَوْ بِالسَّلامِ
فَقَوْلُكَ القَلِيْلْ
فَكَّ ظَمَأْ المسْتَهَامِ[٣]
(٧٩) حِلِّي عُقُوْدَ جِيْدٍ لما
زَادَتْ بِكِ الحُلِيْ
أنتِ الحُليُّ وَهَذهِ عِنْدِي
جُمْلةْ شَوَاغِلِي
(٨٠) مَهْ لِلْحَبِيْبِ نَهْ يَرْنُوْ ظُلْمَا
وَالجَسَدِ النَّاحلِ
وَإِنَّهُ الحَبيبُ يَا حُبِّيَ البَارِدِ
لاشَكَّ قَاتِلِي
(٨١) تَدْرِي الحقَّ إِنْ كُنْتَ تَمرّ عَنّي
وَاقْتَنِعْ بالنَّظَرْ
لا تحَاملْ عَلى أَنْ تَبُوْسَ فَمّي
لا يُبَاسُ القَمَرْ
(٨٢) الحَبيبْ حُجبْ عَنّي في دَارُهْ
وَنُرِيدْ نَسْأَلْ عنُّهْ جارُهُ
ونخافُ رِيْبَةَ الحُبِّ
وَايشْ نعْمَلُهْ يَا رَبي[٤]
(٨٣) الحَبيبْ يمرّ عنّي طريقُهْ
وَيَمُنُّ عَليَّ بتعنيقُهْ
وَأَرَى لِلنَّفْسِ لا تَقْنَعْ
فَيَا رَبّ مَا أَصْنَعْ

خامسًا: الخرجة العربية التي وردت على خمسة أغصان:

(٨٤) فَيَا عَذُوْلِي
مَا ذِكْرِيَ الهوَى
فَنِّيْ لأَنَّ في الحَيّْ
قَلْبي تَلَذَّذْ
بِتَذْكَارِ حَالِيْ

(١) وردت هذه الخرجة العربية عند وشّاح عربي مجهول في عدة الجليس ٣٧٦، وعند أكثر من وشاح عبري، مثل: يهودا هاليفي، وتودروس أبو العافية بصيغ متعددة.

(٢) وردت هذه الخرجة العربية عند ابن بقي، وابن الصيرفي، وابن شرف في ديوان الموشحات: ١/٤٥٠ و٥٢٨ و٢/١٠ باختلاف يسير، إلا أن الموشحة العبرية قد غيرت في قافية أحد الأغصان.

(٣) وردت هذه الخرجة قفلاً أولَ في موشح أقرع لابن الفرس – باختلاف يسير– في ديوان الموشحات ٢/١٢٣

(٤) وردت هذه الخرجة العربية عند المنيشي في جيش التوشيح: ١١١

(٨٥) قَلْبِي عَلَى السَّلامَةْ
مِنْ عندِ محْبُوْبٍ نَسَانِي
كَيْفَ وَكَيْفَ أَبْطَاْ
لَيشْ لَمْ يَجِي مَعَكْ يَرَانِي
الطَّارِقُ أَخْطَاْ
(٨٦) باللهِ يَا حَبِيْبِي
جُدْ وكُنْ طَبِيْبِيْ
بِالوِصَالِ
وَادْرِ حَالِي
وَاشْتَمْ

سادسًا: الخرجة العربية التي وردت على ستة أغصان:

(٨٧) قَدْ بَلَوْنَا وَابْتُلِينَا
وَاشْ يَقُوْلُ النَّاسُ فِيْنَا
قُمْ بِنَا يَا نُوْرَ عَيْنِيْ
نَجْعَلُ الشَّكَّ يَقِيْنَا
وَنُنادِي فِي البَرَارِيْ:
قَدْ مَلَكْنَا مَن هَوِيْنَا[1]
(٨٨) فَلْتَعْذِلُوا
أَوْ لا تَعْذِلُوا
لَمْ يَخْطُرِ السّلوَانُ قَطُّ بِخَاطِرِي
إِنِّي عُرِفْتُ مُذْ حَيِيْتُ بِشَاطِرِ
عَاشِقًا فِي صِغَارِ
هَائِمًا فِي كِبَارِ
(٨٩) فَنَاْ ضَنَى
نِعْمَ الفَنَاْ
قَدْ كَادَ أَنْ لا يَسْتَكِنَّ لِنَاظِرِ
لم يَجْنِ ذَاكَ إِلا عَلى نَاظِرِ
لم يُفدَ بالنـاظرِ
غيرُ تِلْكَ السّوَارِي
(٩٠) أَوْعِدْنِي لِعَامْ
وَقُلْ لِي: نَعَمْ
وَخَالِفْنِي مَعَ سَعْدِي
وجُدْ فِي المنامْ
وَلَوْ بِالسَّلامْ
وَارِعِ نَبَاتَ واسدِي
(٩١) شُهْبُ الرُّؤُوْسِ زُهَرْ
شَرِبْتُهَا عَلى زَهَرْ
كَالشُّهْبِ
فِي رَوْضَةٍ بالقَدَرْ
فِيْهَا كَمَا سُعودُ القَدَرْ
لِلشّرِبِ
(٩٢) حَبِيْبِيْ قَدْ يَرْحَلْ
وَعَادَهُ لَمْ يَنْزِلْ
وَأَيُّ صَبْرٍ لي
لاَبُدَّ لي أَنْ أَحْمِلْ
وَأيشْ عَسَى يَعْمَلْ؟

(١) وردت هذ الخرجة العربية عند ابن بقي في ديوان الموشحات: ٤٣١/١، وعند ابن الصباغ فيه – أيضًا –: ٣٨٧/٢، باختلاف يسير، ولكن الوشاح العبري زاد في هذه الخرجة غصنين:
وَنُنادِي فِي البَرَارِيْ: قَدْ مَلَكْنَا مَن هَوِيْنَا

مَنْ قَدْ بُلي

(٩٣) يَا قَوْمُ مَا أَصْبَرْنِي

نَرَى الحبيبَ جَارِيْ

وَنَعْشَقُهْ

ليسَ كَان تَكون سَنةْ

لمنْ لَقَى حِبُّهْ

يُعانِقُـهْ[1]

سابعًا: الخرجة العربية التي وردت على ثمانية أغصان:

(٩٤) فَالنِّبَالْ

تَرمُقُـني

مِنْ لحْظِكِ

النَّبِيْـلِ

وَالرِّحَـالْ

يفْرُقُـني

مِنْ سِحْرِكِ

النَّبِيْـلِ

(٩٥) بِاللهْ رَسُوْلْ

قُلْ لِلْخَلِيْلْ

كَيْفَ السَّبِيْلْ

وَيَبِيْتُ عِنْدِيْ

حَفْلُ الحِجَالْ

نُعْطِهْ دَلاَلْ

عَلَى النَّكَالْ

وَنَزِيْدْ نُهْدِيْ[2].

خاتمة

وبعد، فإن الحضور العربي قد ألقى بظلاله على الموشح العبري من خلال العدد الكبير من الخرجات العربية الخالصة، أو الخرجات الرومانثية المتضمنة كلمات عربية، والتي تقع في خواتيم الموشحات العبرية الأندلسية، ولاشك أن لهذا الحضور خلفياتٍ ثقافيةً ولغويةً وأدبيةً جعلت اللغة العربية بما فيها من إبداع شعري متسيّدةَ الموقف الأدبي في شبه الجزيرة الإيبيرية، أو أن تسيّدها هو الذي فرض على غيرها اتباعها ومحاكاتها، وليس هذا الحضور العربي الواضح في الخرجات العبرية إلا أنموذجًا لهذا التسيّد المستحق، وقد تجلّى من خلال هذه الدراسة الموجزة التي تتضمّن عددًا من النتائج والتوصيات، منها:

١- تجاوز الحضور العربي في خرجات الموشحات العبرية الأندلسية حدّ المعجم اللغوي العربي إلى دلالات الألفاظ، ودقائق المعاني، حتى إنها تضمنت من الكلمات العربية ما يتشارك فيه الشعراء العرب منذ الجاهلية، وخاصة في الجوانب الغزلية، وما تضمنته من ألفاظ الحب والعشق، وما اشتملت عليه من المظاهر العربية القديمة، وما فيها من ألفاظ

(١) وردت هذه الخرجة العربية عند الأعمى التطيلي في عدة الجليس ٤٧٩، وفي ديوان الموشحات ٢٩٠/١، ولكنها وردت بصياغة مختلفة في كلّ منهما عن صياغة الوشّاح العبري.

(٢) وردت هذه الخرجة العربية عند أبي بكر الأبيض في عدة الجليس ١١٠، وديوان الموشحات ٤٠٢/١ باختلاف يسير، وتقديم وتأخير.

الصحراء، والصيد، والرقيب.. كما أن هذا الحضور قد تمّ واكتمل بالمعجم الديني الإسلامي الذي اشتمل عليه، وهذا أوضح الأدلة على الحضور العربي في الثقافة العبرية.

من جانب آخر فقد شكّل الحضور العربي أكثر المظاهر اللغوية الأجنبية في خرجات الموشح العبري؛ إذ قاربت الخرجات العربية في تلك الموشحات العبرية الأندلسية مائة خرجة، بينما شكّلت الخرجات الأعجمية (الرومانثية) ما لا يتجاوز ثلاثين خرجة في الموشح العبري، مع ملاحظة أن كثيرًا من تلك الخرجات الرومانثية تضمّنت العديد من الكلمات العربية على مختلف مستوياتها ودرجاتها بين الفصاحة والعامية.

٢- ثمة رأي يزعم أن الخرجات الرومانثية في الموشحات العربية والعبرية عبارة عن تضمين واقتباس من أشعار وأغانٍ شعبية لاتينية غابرة، وحجتهم في هذا الرأي: العُجمة في الخرجة، ولكن هذه الدراسة تضيف ردًّا جديدًا على هذا الرأي من خلال الخرجات العربية الخالصة الواردة في الموشح العبري، والتي تؤكد خلاف ذلك تمامًا، ومن طرف آخر فإن عددًا من هذه الخرجات العربية جاء مشتركًا بين موشحات عربية وعبرية، وعددٌ آخر منها جاء حكرًا على الموشح العبري.

٣- من الملاحظ على السواد الأعظم من الدراسات الغربية أنها لا تهتم بإسناد الخرجة إلى لغة الموشح الواردة فيه، بمعنى آخر: أن الاهتمام يتركز على الخرجة ذاتها دون النظر إلى موشحها، فظهرت دراسات غربية تتناول الخرجات بشكل محدد، كالخرجة الرومانثية، وإيراد نماذج منها، وتحليلها من غير مبالاة بشكل كبير بالموشح الذي شكّلت جزءًا بالغ الأهمية منه، وبذلك ظهرت الخرجات الرومانثية للدلالة على الحضور الأعجمي في الخرجة مع العربية أو مع العبرية، كما تناولت هذه الدراساتُ الخرجةَ العربية، والخرجة العبرية، فكانت كلها منصبّة على ذات الخرجة دون استنادها على لغة الموشح، ولعل في ذلك تأكيد من لدن هؤلاء المهتمين بأصول الخرجة الرومانثية من جانب، وباستقلاليتها من جانب آخر.

٤- لاشك أن وجود هذا العدد الكبير من الخرجات العربية الصرفة، والكلمات العربية الفصيحة والعامية - فضلاً عن أنه تأثير عربي خالص- يدعونا للتأمل في أصول هذا الخرجات، هل هي كلها من أصول عربية، ومقتبسة من موشحات عربية، أم أنها من تأليف الوشّاحين اليهود؟ إن ما بين أيدينا من تلك الخرجات العربية المنتشرة في الموشحات العبرية ينقسم إلى قسمين بين التبعية والاستقلالية: قسم ورد

في موشحات عربية، وهذا يؤكد الجانب الأول، وهو التضمين من الوشاحين العرب، سواء أكان هذا التضمين واردًا في الخرجات أم في سائر الأقفال، وقسمٌ لم يرد بتاتًا فيما بين أيدينا من موشحات عربية، وهذا يقودنا إلى موقفٍ من اثنين، أحدهما: إما أن تكون تلك الخرجات العربية من تأليف الوشاحين اليهود، وهذه مرحلة جديدة من مراحل التأثير، تتجاوز مرحلة التضمين، وثانيهما: أن تكون تضمينًا لخرجات أو أقفال في موشحات عربية لم تصل إلى أيدينا، وهذه مرحلة تفتح أبوابًا جديدة للبحث والتحري عن هذه الموشحات، خاصة أن تلك الخرجات العربية الواردة في الموشحات العبرية في الأندلس أصبحت بين أيدي الدراسين والمهتمين من خلال هذه الدراسة.

٥- طالت مظاهر التبعية في خرجات الموشحات العبرية جميع تفاصيل الخرجة، وشروطها، ومقدماتها، وأنواعها، بل إن الخرجة العربية في حد ذاتها مظهر من مظاهر التبعية في فن الموشح العبري الذي يعدّ هو - أيضًا - مظهرًا من مظاهر التبعية، ولا نكاد نجد استقلالية الخرجات العربية في الموشحات العبرية إلا في بعض المظاهر المحدودة كاستخدام الرموز الدينية والاجتماعية الخاصة باليهودية، وكورودها في موطنها دون لبس في تقديمها على أي قفل، ويعزى ذلك إلى اللغة العربية المستعملة في بنائها، والتي تُعدّ أجنبية بالنسبة للبناء الموشحي العبري عامة.

٦- توصي هذه الدراسة الباحثين والمهتمين بجانب الدراسات المقارنة والأندلسية بمناقشة رأي العديد من الدراسات الأجنبية القائل: إن الخرجة في الموشح الأندلسي عربيّهِ وعبريِّهِ نصٌّ مستقلٌّ بذاته، وإنها ليست من أصل الموشح الواردة فيه، وإنما هي - على حدّ قولهم- نصٌّ شعريٌّ مستقل له سماته وصفاته وخصائه التي تأذنُ باستقلاليته.

****

قائمة بالمصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١. الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، محمد رجب البيومي، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

٣. تاريخ الفكر الأندلسي. أنخل جنثاليث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦ م.

٤. تاريخ الفكر الأندلسي، أنخيل غونثاليث بالينثيا. ترجمة د. حسين مؤنس، المكتبة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥م.

٥. التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الأندلسية، محمود فاخوري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٨٥، شوال ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م.

٦. الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم السيوطي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧. الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال Évariste Lévi-Provençal، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٨٥م

٨. الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة، فيدريكوكورينتي كوردوبا، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٨١، جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، نوفمبر ١٩٩٧م.

٩. دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق جودة الركابي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م.

١٠. ديوان الموشحات الأندلسية، سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

١١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق د.إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط١، ١٩٨١م

١٢. عبدالرحمن الأوسط، سيمون الحايك، المطبعة البوليسية، بيروت.

١٣. عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، علي بن بشرى الأغرناطي، تصحيح المستشرق ألن جونز، كامبرج، بريطانيا، ١٩٩٢م.

١٤. العذارى المايسات في الأزجال والموشحات، فيليب قعدان الخازن، مطبعة الأرز، جونيه، ١٩٠٢م: المقدمة (ج).

١٥. الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٣١، شعبان/رمضان ١٤٠٠هـ، يوليه ١٩٨٠م.

١٦. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق: أ.د. حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

****

ثانيًا: المراجع الأجنبية

17. Cancioncillas 'de amigo' mozárabes *(**primavera temprana de la lírica europea**)*, Dámaso Alonso, Revista de Filología Española, 33 (1949), pp. 297-349, http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf

18. Clase para estudiantes argelinos:Cómo presentar el estudio de una moaxaja, Ahmed Ounane, ACTAS DEL XVI CONGRESO INTERNACIONAL DE ÁSELE, 2005.

19. De la Casida a la Moaxaja la renovación poética en el Al-andalus lic. Valeria Rodríguez Martínez, Revista Penélope, Jaén, 201. نسخة إلكترونية:

20. Diez Moaxajas Hebreas de Moseh ibn 'Ezra': traducci6n y comentario. Angel saenz-badillos Primer Congreso Internacional sobre poesfa estr6fica arabe y hebrea y sus paralelos romances, celebrado en Madrid en diciembre de 1989, universidad complutense.

21. El Enigma de las JARCHAS, Pedro Martin BAÑOS, Universidad Bilbao, 2005.

22. Hispano-Arabic Strophic Poetry, Stern, en http://www.jarchas.net/jarcha-5.html

23. http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf

24. Las jarchas romances de la serie árabe en su marco, Emilio García Gómez, Madrid, Sociedad de Estudios y Ediciones, 1965, (reed. Madrid, Alianza, 1990).

25. Love Songs from Al-Andalus: History, Structure, and Meaning of the Kharja, Otto Zwartjes,Brill, New York, 1997.

26. Ninety-Three Arabic Harğas in Hebrew Muwaššaḥs: Their Hispano-Romance Prosody and Thematic Features, James Monroe, David Swiatlo, Journal Of the American Oriental Society 97.2, 1977.

27. La Reelaboración Sacra De Xarajāt Profanas, Holy Adaptation Of Secular Xarajāt, Mercedes Álvarez Castrejón, Meah, Universidad de Granada. Sección Hebreo, 57 (2008)

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

28. http://revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_poe_00.html

29. http://www.jarchas.net/jarcha-5.html

30. http://www.jarchas.net/jarcha-6.html

31. http://www.jarchas.net/jarcha-7.html

32. http://www.revistakatharsis.org/Anonimo_Jarchas.pdf

33. http://www.revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_poe_01_a.html

34. http://www.revistakatharsis.org/rev_nov_03_sm_poe_03.html

35. http://www.revistapenelope.com/wp-content/uploads/2014/12/DE-LA-CASIDA-A-LA-MOAXAJA1.pdf

****

ALbaha University

Issue No: 7 Shawwal 1437 H July 2016 AD

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Arabic Jarchas (Close-Ups) in the Andalusi Hebrew Lyric Between Dependence and Independence

Dr. Awad Abdullah Alqarni
Associate Professor of Literature Arabic Language Department
College of Arts & Humanities at Albaha University

Published by Albaha University

ISSN Online: 1658 - 7472

Magazine link on the Internet http://sj.bu.edu.sa